مصرع كليوباترا

تأليف
أحمد شوقي بك

مصر کی کلیوپاٹرا

إهـــــداء2005

أ.د./ محمد عثمان نجاتي

القاهرة

مصرع كليوباترا

تأليف

المرحوم أحمد شوقي

مؤسسة فن الطباعة

تمهيد

(١) زمن الرواية

الأيام الأخيرة فى حياة كيلوباترا حوالى سنة ٣٠ قبل الميلاد
بين وقعة « أكتيوم » البحرية وانتحار كيلوباترا

(٢) مكانها

فى الاسكندرية وأرباضها

(٣) أشخاصها

ا — الأشخاص التاريخية

كيلوباترا

مارك أنطونيوس

أكتافيوس قيصر

قيصرون ابن كيلوباترا من يوليوس قيصر

ب — الأشخاص الموضوعة

أنوبيس الكاهن الأكبر

زينون أمين مكتبة قصر كيلوباترا

$$\left.\begin{array}{r}\text{حابى}\\\text{ديون}\\\text{ليسياس}\end{array}\right\}\text{مساعدو زينون}$$

هيلانه — وصيفة كيلوباترا و بينها و بين حابي غرام

شرميون — وصيفة أخرى

أوروس — رومانى فى معية أنطونيوس وهو عبده وتابعه وصفيه

أولمبوس — طبيب رومانى فى بلاط كيلوباترا

أنشو — مضحك الملكة

غانميز — ساقيها

حبرا — عرّافها

أياس — شاديها

آخيل — قائد الأسطول المصرى وربان أنطونياد سفينة كيلوباترا

بولا — شاعر

أغا القصر

ح ـ النكرات المسرحية

جنود وقواد مصريون ورومانيون . راقصات . عزّاف

الفصل الاول

المنظر الأول

« فى مكتبة قصر كليوباترا — حابى وديون وليسياس جلوس الى عملهم »

« يسمع جماعة من العامة خارج القصر ينشدون هذا النشيد »

يومُنا فى أكتيُوما ذكرُه فى الأرض سارْ
إسألوا أسطولَ روما هل أذقناه الدَّمار!

* * *

أحرز الأسطولُ نصرا هزّ أعطافَ الدّيار
شرفًا أسطولَ مصرا . حُزْتَ غاياتِ الفَخار

* * *

صارتِ الإسكندريهْ هى فى البحر المنار
ولها تاجُ البريهْ ولها عرشُ البحار

* * *

حابى : إسمعِ الشعبَ دُيونُ كيف يُوحون اليهِ
ملأ الجوَّ هُتافًا . بحيــاتى قاتليْــهِ
أثّر البهتانُ فيه . وآنطلى الزورُ عليه
يا له من ببّغاء عقلُهُ فى أذُنيــهِ

ديون: حابي سمعتُ كما سمعتَ وراعني ... أن الرميّة تحتفي بالرامي
هنئوا ابن شرب الطِّلا في تاجهم ... وأصار عرشهمو فراشَ غرام
ومشى على تاريخهم مُستهزئاً ... ولو استطاع مشى على الأهرام

حابي: أتذكُرُ يا ديون إذ انطلقنا ... الى المينـاء نلتمسُ الهواء
وكان البحرُ كالميْتِ المُسَجّى ... وكان الليلُ للميتِ الرداء

ديون: نعم وهنـاك آنسْنا سَحَابا ... وراء الليـل جلّلتِ السماء
فقلتَ انظر ديونُ ترَ الجوارى ... يَطأْنَ الماء همساً والفضاء
وأقبلتِ البوارجُ بعد حينٍ ... سَوَائبَ لا دليلَ ولا حُداء
رَجَعنَ رجوعَ فُرسانٍ أصابوا ... من الغزو الهزيمةَ والبلاء
فلم نسمعْ لِملّاحٍ هُتافاً ... يُبشّرُ بالقـدوم ولا نِداء
ولم نَرَ فوق ساريةٍ سِراجاً ... ولا من ثَقْبِ نافذةٍ ضياء

حابي: فمـاذا قلتُ؟

ديون: قلتَ ديونُ إنّي ... أرى الأسطولَ بالويلاتِ جاء
دخولُ الظافرين يكونُ صبحاً ... ولا تُزْجَى مواكبُهم مساء
فلما أصبح الصبحُ انتبهنا ... نرى الأسطولَ أزينَ ما تراءى
تبرّجت البوارجُ بعد عُطلٍ ... وهزّتْ في ذوائبها اللواء

وُرِّدِدَ فى المدينــة أن روما　　عفا أسطولُها ومضى هَباء
فضجّ الناسُ بالبُشرَى وكدّوا　　حناجرَهم هُتافًا أو دُعاء
هذاك اللهُ من شَعبٍ برىءٍ　　يُصَرِّفُهُ المُضلِّلُ كيف شاء

« تدخل هيلانة »

ليسياس : « هامساً لحابى »

حابى صهٍ قد ظهرتْ هيلانهْ　　وأقبلت بالطلعة الفتّــانهْ
تَنفَحُ كالزّنبقة الغَيْسانهْ

حابى : ليسياسُ أنهاكَ عن المجَانهْ　　هيلانةٌ فى القصرِ قَهْرمانهْ
لهـا وَقارٌ ولهـا مكانهْ

هيلانه : ســــلامٌ لك يا حابى

حابى : ســلامٌ لكِ هيــلانهْ

هيلانه : أُمِرْتُ أن أقول للأمين　　ستحضُرُ الملْكةُ بعد حينِ
فبلّغِ الأمرَ الى زينون

حابى : سيــدتى سأفعــلُ　　أمرُكما ممتَثــلُ

هيلانه : تَقــرِنُنى بِربّتى ؟　　ذلك ما لا أقْبَــل

حابى : هيــلانَ أنتِ مَلْكتى　　وأنت وحــدَكِ المَلَكْ

هيلانة : بل كلوباترا وحدَها　　لم يَحْوِ شمسيْنِ الفَلَكْ
إنْ أنتَ لم تُؤْمِنْ بها　　فلَسْتَ لى ولستُ لك

« تخرج هيلانه ويدخل زينون من باب آخر فى هيئة تفكير واضطراب »

حابى : ذاتُ الجلالةِ سيدى . قد آذنتنـــا بالزيارهْ

زينون : هـذه حجرتُها لا عدِمَتْ طِيبَ ريّاها ولاضوءِ حُلاها

كلَّ يوم تتجلى ساعةً ههنا كالشمس فى عزِ ضحاها

تدخُلُ الدارَ فتنسى مُلكها بلقاء الكُتْب أو تنسى هواها

« محدثاً نفسه فى ركن قصى من أركان المكتبة »

أما الشبابُ فقد بَعُد ذهب الشبابُ فلم يَعُدْ

ويحى أمِن بعد السنيـــنَ وقد مررن بلاعدد

أو بعد طولِ تجاربى ومكانِ علمى فى البلد

تَجْنى الحسانُ علىَّ ما لم تَجْنِ قبلُ على أحد؟

ديون : « هامساً الى زميلية »

حابِ . ليسياس . أُقسمُ أنْ زينونَ مغرَمُ

فضحَ الشيخَ حبُّهُ والهوى ليس يُكتم

ليسياس : بِمَنِ الشيخُ مولَعٌ ليت شعرى بِمَتيَّم؟

ديون : وبمن جُنَّ يا تُرى؟

حابى : « ضاحكا » كلٌّ خافٍ سيعلم

زينون : « مستمراً فى حديث نفسه »

مالى جُننتُ فصرتُ أتّـــهم الشبابَ واصطهدْ

لمْ ألقَ رأساً فاحما ... إلاّ حملتُ له الحسد

ووجدتُ لاعجَ غيْرةٍ ... بين الجوانح يتقّـد

فـكأن ظلمةَ شعره ... فى مُقلتىّ هى الرّمد

وكأنما سرَقت ذوا ... ئبهُ شبابى المفتقَـد

ولو آن لى ولداً فما ... ت لما بكيتُ على الولد

حذَراً وخوفا أن يكو ... نَ بها تعلّق أو وجَد

شكٌّ يعـذّب مهجتى ... إن الشكَّ فى كبَد

« يلتفت الى حابى ويطيل اليه النظر ثم يناديه »

حابى بنى

« يأتى اليه حابى »

قل ولا ... تُخفِ علىّ: هل تُحبّ؟

حابى : أُحبُّ ؟ من قال

زينون : سمعتُ

حابى : من روَى لك الكذب؟

زينون : بُنَىّ ليسَ بالفتى ... إذا أحبّ من عجب

مَن لم يُحبَّ لم يؤدّ ... للشباب ما وجب

حابى : « متبكماً »

لكن أأدّعى الهوى — وليس لى منهُ سبب ؟

زينون : حاب بُنىَّ لا تَرُعْ — مِنَ السؤال بل أجب

لولا الهوى لم تَكُ فى — ظل الشباب تكتئب

ما بال بِشْرِك امّحى — ولو نِلك الغض شَحِب ؟

وللدموع من مآ — قيك تكادُ تنسكب ؟

حابى : « ساخراً »

أفِقْ زَينونُ واصحُ من الغوانى — أبعد الشيب تخدعُك النساء ؟

زينون : « غاضباً »

أتعلم يا غلامُ علىّ عشقًا ؟

حابى : — دع الإنكار قد برِح الخفاء

زينون : ومَن أنباكَ ؟

حابى : أنت !

زينون : وكيف ؟

حابى : تهْذِى — فتفضحُكَ الوَساوسُ والهُذَاء

كمحموم يبوح وليس يَدْرى — تكشَّفَ عن سرائره الغطاء

أبعد العطف والإشفاق يشقى | بصحبتك الشبابُ الأبرياء ؟
فكلّ فتى رأيتَ زعمتَ صبًّا | يخامره من الرّقطاء داء ؟
وما كمَى الشيوخ إذا أحبّوا | وليس وراء غَيْرتهم بلاء

زينون : « لنفسه »

إلهى قد فُضِحتُ وضَلّ شيبى | وضاعت حكمتى وخبا الذكاء

« لحابى » .

صدقتَ نُبِّئتُ بى داء دخيلٌ | وليس إلى الدواء لِيَ اهتداء
علىّ تلوّثِ الأفعى ، فهلْ لى | من الأفعى ونكزتها نجاء ؟
أرى ولَهاً وأحسبُهُ جنوناً | كسانيه على الكِبَر القضاء

حابى : وتُعطَى حين تلقاها ابتساماً | وأنطنيوسُ يُعطَى ما يشاء
صباحُهما مُغازلةٌ وصيدٌ | وللأقداح والقُبَل المساء
أترضى أن يكون سريرُ مصرٍ | قوائمُهُ الدعارةُ والبِغاء ؟
أتهدِمُ أمّةً لتَشيدَ فرداً | على أنقاضها ؟ بئس البِناء !
أبى ، شيخى ، اجترأتُ عليك فاصفحْ
فلم ألكَ أجترِى لولا الوفاء

إلهي قد فضحت وضل شيبي   وضاعت حكمتي وخبا الذكاء

لقد آن التكاشفُ والتَّواصى   بما توحى الكرامةُ والإباء
تعالَ إلى جماعتنا ، فإنّا   جنودَ الحقِّ يجمعنا لواء
شبابٌ نحن يعوزنا شيوخٌ   بهم فى المدلهمّةِ يُستضاء

زينون : كفى، إنى نفضتُ يدىَّ منها   ومزّقَ عن بصيرتى الغشاء

حابى : أبى زينونُ قد بُحتُ من السر بمكنونى
وما غيرُكَ زينونُ   على السر بمأمون

« يشير الى ديون وليسياس »

آخى هذا آتينىٌّ   وخِلِّى ذاك مقدونى
كِلا الخِلَّيْن للحق   كما أدعوه يدعونى
كِلا الخِلَّيْنِ ذو جدٍّ   بأرضِ النيل مدفون
فليسا فى هوى مصر   وفى طاعتها دونى
فدينا الوطنَ الغالىَ بالجنس وبالدين
ولم نصبِرْ على حكمٍ   الروميّةَ ملعون
ولسنا حزبَ أكتافٍ   ولسنا حزبَ أنطُون
ولا نَخضَعُ للبأسِ   ولا نُخْدع باللين
ولم يَبقَ على الودِّ   لروما غيرُ زينون

زينون : معـــاذ الله ! عُذُونى من العصبة عُـذُونى
كساكِ اللهُ يا روما لباسَ الذلّ والهُون

حابى : أبى، أنتَ الطبيبُ وكلُّ داء له فى صَيْدليّتك الدواء
فَهىِّ لها ابنَ ساعته وعجّلْ يُعَجِّلْ فى السماء لك الجَزاء
لعل سمومَك الزُّغفَ المواضى من الأفعى وفتنتها شِفاء

« يدخل جندى من حرس الملكة معلناً قدومها »

الحارس : الملكه ْ !

زينون : « كأنما يفيق من حلم »

الملكه ْ ! لاَ بَرِحَتْ مُملّكهْ !
ودام مجدُ المملكه ْ !

« تدخل كيلوباترا ومن ورائها ابنها قيصرون بين وصيفتيها شرميون وهيلانه ومن ورائهن أنشو مضحك الملكة وأغا القصر »

الملكة : تحيّتى لأمناء المكتبه وشيخِهم أعلى الشيوخ مرتبه
زينون : سلامُ السّماوات فى مجدها على رَبّةِ التاج ذاتِ الجلالْ
تمنيتُ رأسين لا واحداً إذامَسّتِ الأرضَ هامُ الرجالْ
أطأطئ رأساً لمجد النبو غ وأخفِضُ رأساً لمجد الجمال

حابى . ديون . لسياس : « يتلفت بعضهم إلى بعض أسفاً »
أنتو : « للوصيفتين وقيصرون »

أما يُغنيـهِ عن رأسيـ ـنِ رأسٌ فيه وجهانِ ؟
فحينًا هـو مصرىٌّ وحينًا هـو يونانى
وفى مجلسِ يوليوسَ وأنطونيوسَ رُومـانى
وإن لاقى أغا القصـ ـرِ فنوبىٌّ وسودانى ؟

« يدخل الكاهن أنوبيس من باب مقابل »

الملكة : كاهنَ المُلْكِ سلامٌ لا عَدِمنـا بركاتِكْ
صلِّ من أجلى، ولا تنـ ـسَ صِغارى فى صلاتِكْ
أنوبيس : ربَّةَ النيـلِ التَّحيا تُ الزَّكيَّاتُ لذاتِكْ
حَرَستْ تاجَكِ إيزيـ ـسُ ومَدَّتْ فى حياتِكْ
الملكة : هُوَذا ابنى قيصرونٌ يَتلقَّى نفحـاتِكْ

الكاهن : « لنفسه »

إيزيسُ كيف أُصَلى على ابن يوليوسَ قيصرْ ؟
أبوه عالٍ ولكنْ فرعونُ أعلى وأكبر

« يسمع هتاف من خارج القصر وجماعة ترتل نشيد النصر السالف فى أكتيوم »

الملكة : « عابسة »

كاهنَ المُلْكِ، سادتى، هل سمعتمْ رنَّةَ الصوتِ فى جوانب قصرى ؟

آنوبيس : هم رعايا مليكتي

الملكة : ليت شعري .

ألخيرٍ تجمّعوا أم لشرٍّ ؟

شرميون : الجماهيرُ يا مليكةُ بالشّطِّ يموجون في حُبورٍ وبِشرِ

سَرّهم ما لقيتِ في أكتيوم من ظهورٍ على العدوّ ونصرِ

لا يقولون أو يُعيدون إلاّ نبأ بات في المدينة يسري

الملكة يا لإفكِ الرجالِ! ماذا أذاعوا كذبٌ ماروَوْا وصُراحٌ لَعمري

أيَّ نصرٍ لقيتُ حتى أقاموا ألْسُنَ الناس في مديحي وشكري؟

ظَفَرٌ في فم الأمانيّ حلوٌ ليت منه لنا قُلامةَ ظُفْر

وغداً يعلمُ الحقيقة قومي ليس شيءٌ على الشعوب بِسِرِّ

شرميون :

ربّةَ التاج ذلك الصُّنع صُنعي أنا وحدي وذلك المكرُ مَكري

كثرتْ أمسِ في الإياب الأقاويـ ـلُ وظَنَّ الظنونَ من ليس يَدري

فأذعتُ الذي أذعتُ عن النصر وأسمعتُ كلَّ كوخٍ وقصرِ

خِفتُ في خاطري عليك الجماهيـ ـرَ وأشفقتُ من عِدًا لك كُثْر

فاغفري جُرْأتي ، فيارُبَّ ذنبٍ يَتعب العذرُ فيه مهّدتُ عذري

الملكة : شرميونُ آهدئى فما أنت إلا ملكٌ صيغ من حنانٍ وبرّ

أنتِ لى خادمٌ ولكن كأنا في الملمّاتِ أهلُ قربى وصهر

إنما الخادمُ الوفىُّ من الأهــــل ، وأدنى فى حال عسرٍ ويسر

إسمعى الآن كيف كان بلائى وانظرى كيف فى الشدائد صبرى

أيها السادةُ اسمعوا خبرَ الحر ب وأمرَ القتال فيها وأمرى

واقتحامى العُبابَ والبحرُ يطغى والجوارى به على الدمِ تجرى

بين أنطونيو وأكتافَ يومٌ عبقرىٌّ يسيرُ فى كل عصر

أخذتْ فيه كلُّ ذاتِ شراع أهبةَ الحرب واستعدّتْ لشرّ

لا ترى فى المجال غيرَ سَبُوحٍ مُقبلٍ مدبر مِكَرٍّ مِفرّ

وترى الفُلكَ فى مُطاردةِ الفُلــــكِ كنسرٍ أراد شرًّا بنسر

وتخال الدخانَ فى جَنَباتِ الجوّ جُنحاً من ظلمة الليل يسرى

ودوىَّ الرياح فى كل لُجّ هزجَ الرعدِ أو صياحَ الهِزَبْر

وترى الماء ، منه عودُ سرير لغريقٍ ، ومنهُ أحناء قبر

يغسِلُ الجُرحَ شرُّ من غَسَلَ الجر حَ ويأسو من الحياة ويُبرى

كنتُ فى مركبى وبين جنودى أَزِنُ الحربَ والأمورَ بفكرى

قلتُ روما تصدّعتْ فترى شطـــراً من القومِ فى عداوةِ شطر

بَطَلاها تقاسماَ الفُلكَ والجيـــشَ وشبَّا الوغى ببحرٍ وبر

وإذا فرّقَ الرُّعاةَ اختلافٌ ... علّموا هاربَ الذئاب التَّجَرّى

فتأملتُ حالتىّ مَلِيّــا ... وتدبرت أمرَصَحوى وسكرى

وتبيّنتُ أن روما إذا زا ... لت عن البحرِ لم يَسُد فيه غيرى

كنت فى عاصف ، سالت شراعى ... منه فانسلّتِ البوارجُ إثرى

خلَصت من رَحى القتال ومما ... يلحق السُّفْن من دمار وأسْرِ

فنسيتُ الهوى ونُصرة أنطنيو ... سَ حتى غدرتُه شرَّ غدر

عِلمَ اللهُ قد خذلتُ حبيبى ... وأبا صِبيتى وعَونى وذُخرى

والذى ضيّع العروشَ وضحّى ... فى سبيلى بألف قُطْر وقطر

موقفٌ يُعجب العلا كنتُ فيه ... بنتَ مصرٍ وكنتُ مَلكةَ مصر

زينونُ فصّلتُ الخبرْ ... عِن القتال والسفرْ

وقلتُ عن إيابى ... وخُطةِ انسحابى

ما ليس يعلمُ البلدْ ... ولا درى به أحدْ

فهل لديك الآنا ... ما يجلبُ السُّلوانا

من الأمالى المُسْلِيهْ ... والصُّحُف المُلْهِيــهْ

زينون : عندىَ يا مولاتى روائعُ الآيات
تسعون ألف سِفرٍ قد كُتبتْ بالتِّبر
من كل رَقٍّ عجبِ فى العلم أو فى الأدبِ
قيصرُ أنطونيو وهب لنا منَاجمَ الذهبْ
وكلَّ غالٍ مدَّخرْ من الجواهر الأُخَرْ
أسلابه من حربه وَطعنِهِ وضرْبه
هديةٌ من قيصر لبَلدة الاسكندر

أنشو : إذا كانت الكتبُ فى شرعكم نظيرَ الجواهر كُفْءَ النُّضارْ
فانى الغنىُّ بدُرِّ الفوا قع حين يُرصَعُ تِبرَ العُقار
وما الكتْبُ قوتى ولا منزلى فما أنا سوسٌ ولا أنا فار

الملكة : حكيمٌ لعمرى على جهله ظريفُ الحديث لطيفُ الحِوار

زينون : « مغيظاً »

ولكنها حكمةُ السائمـا ت وفلسفةٌ غيرُ بنت اختبار
وكلتاهما لا تَعَـدِّى الشعو رَ بحُبِّ البقاء وخوف الدمار

أنشو : رويدك مولاىَ بعضَ السِّبا ب فليس السِّبابُ سبيلَ الكبار

هَبِ الليلَ طال فقطّعته — بِدَرْسٍ وأصبحتَ تُفْنِى النهار
وأقبلت بالكتب تطوى الطِّوا — لَ وتَنشرُ فى إثرِهنَّ القِصار
وزِدْتَ على الأرضِ علمَ السما — ءِ كِبارَ كواكبها والصغار
إذا ما نفقتَ ومات الحما — رُ، أبينك فرقٌ و بين الحمار؟

زينون : « غاضباً »

ماذا تقول السيده ؟

الملكة : « ضاحكة » — واحـدةٌ بواحده

أبى أنُوبيسُ أرجو

أنوبيس : — بل تأمُرِينَ مُطاعهْ

الملكة « مشيرة إلى باب محراب مفتوح ومتجهة اليه »

هـذا مُقامُ صلاتى — وهيكلى للضراعهْ
ولى خطايا كثيرٌ — لا تبرَحُ البالَ ساعهْ
فادخلْ وصلِّ لأجلى — فمنك تُرجَى الشّفاعهْ

« يدخلان المحراب ويتبعهم الحاضرون ما عدا حابى وديون وليسياس »

ديون : « متهكماً »

إسكندريةُ صرتِ رَفرَفَ معبدٍ — من كلِّ ناحيـة عليه ستارُ

أختصَّ آلهةُ الجلال بسرّه ... وتفرَّدَ الكُهّانُ والأحبار
ما خَطْبُهم حابى ، وماذا بَيَّنوا ... ما هذه الألغاز والأسرار ؟
ليسياس .

حابى :

أرأيتَ وقعةَ أكتيوم وما جرى ... فيها وكيف تصرّفَ المِقدار !
ليسياس إنك قد سمعت حديثَها ... كالسحر فى الآذان حين يُدار
تبدو الخيانةُ فيه وهى أمانةٌ ... ويُرى الثباتُ عليه وهو فرّار
وعلمت كيف نجت وكيف انفض عن ... أنطونيو أسطولها الغدّار

ليسياس :

واليوم حابى أين أنطونيو وما ... فعلت بفَلّ جيوشه الأقدار ؟
قل لى : أحيٌّ فى البلاد مشرَّدٌ ... هو أم له قبرٌ بمصر يُزار ؟

حابى : ليسياس تسألنى بجاهل عارف

ليسياس : ... بل جاهلٍ لم تأتهِ الأخبار

حابى

لم تأتِ حتى جاء فى آثارها ... للحبّ أجنحةٌ بهن يُطار
ويقال بل أخذتهُ تحت شراعها ... ونجا به فُلْكٌ لها حصار
تجرى الرياحُ بما تشاء قلوعه ... ويسير فى طاعاته التيار

وَيقالُ غضبانٌ عليها عاتبٌ ويُقالُ بل حَنِقَ الفؤاد مُثار
وعلى صفاء العاشقينِ سحابة وعلى سلامِ الصاحبينِ غُبار
آلَى وأقسمَ لايُرى فى قصرها حتى يُقوِّمَ مجدَه المنهار
إن البلاء أجلُّ من ألاّ يُرَى

ديون: • عجبٌ أتخفى فى الهشيم النار؟

حابى:

أنطونيو منا بأقرب ثُكنةٍ يدعو من الرومان من يختار
ويُعِدُّ أُهبتَه ليوم حاسم فى البر يُغسلُ عنه فيه العار
ويكون ميدانَ الرحى ومدارَها تلك التلالُ وهذه الأسوار
فهناك خاتمةُ الصِّراع وموقف إما الدَّمارُ بهِ وإما الغـار

« يسمع صوت آنوبيس من داخل المحراب مرتلا هذا النشيد »

إيزيسُ ذاتَ الحجابْ مالكةَ العالمينْ
تسمعُك لاقى العذاب من عَبَثِ الظالمينْ

يا من حفضنا الجباه لعزِّها ساجدينْ
صعنا اليك الصلاهْ من أدمعِ النادمينْ

« ستار »

المنظر الثـانى

« فى احدى غرف القصر الملكى ورحى الحرب دائرة بين اكتافيوس وانطونيوس على أسوار الاسكندرية — حابى فى الغرفة حيث تدخل عليه هيلانة »

هيلانة :أتدْخلُ حابى مَقاصِيرَها ؟ بلغتَ من الجُرْأَةِ المنتهَى
ستعلَمُ أمرَكَ ذاتُ الجلا لة

حابى : بل أمرتْ أنْ ترانى هنا

هيلانة :عجبت لهـا ولتدبيرِها كذلك قد أمرَتنى أنا
إذن هى تجمعنا يا جحُو دُ وتجزيكَ عن سَخَطٍ بالرضى

حابى . هلانةُ خَلّيكِ من ذكرِها حديثُ الأفاعى طويل المدَى

هيلانة :رُوَيدَكَ حابى لقد أحسنَتْ همـالى أراك أسأتَ الجزا ؟

حابى :هلانةُ يا طِيبَها خَلْوَةً وإن قَلَّ فى ظِلّهـا المُلتقَى
تَعالىْ هـلانةُ نُعطِ الغرا مَ عِنانَ الحديثِ ونَشْكُ الجوَى
أنيلِى يدىَّ يدَيْكِ اللّتيْــــنِ نعيمِىَ بينهما والشقـا
هَلمَّ هِلانةُ

هيلانة . حابى أرا كَ بِكُنهِ الأمورِ قليلَ الهُدَى
من القصرِ لا تلتمِسْ خَلْوَةً وإن هو من كلّ حسٍّ خلا

سَمـاء القصور لهـا أذُنا ... ن وأرضُ القصور بعينٍ تَرى

حابى : هـلانةُ لا تقطعى نَشْوَتى ... بقُرْبِكِ أو حُلُمِى باللّقـا

أمهما تَخَيَّلتُ صَفوَ الحيا ... ة خلقتِ على جانبيْهِ القَذَى ؟

هيلانة : حَنَـانَكَ حابىّ لا تَتَّهِمْ ... ولا تَرمِنى بعقوقِ الهوى

ولُدْ بالأناة فإن الأنا ... ةَ صَديقُ الصَّوابِ عدوُّ الخَطا

فلو كنت وحدكَ شُغلَ الفؤا ... د لهان البلاء وقلَّ العَنا

ولكنْ حقوقُ كِلوباطرةٍ

حابى : وأىُّ حُقوقٍ لها تُدَّعى ؟

(تدخل كيلوبارة)

كيلوباترا : حُقوقُ الولايةِ ياذا الغلا ... مِ حُقوقُ الرِعايةِ ياذا الفتى

وَصبرِى عليكَ لأجل الفتا ... ة

حابى « مأخوذاً »

إلهى لقـد سمعتْ ما جرى

الملكة : وسَيِّدى المسامعَ حُبّاً بها ... وأنتَ تُعينُ علىَّ العِدا

وتُرسِلُ فى العَرشِ هُجْرَ الكلا ... م وتُخفِى الحفيظةَ لى والقِلى

ولكنْ لِننسَ الذى قد مضى ... فمثلُكَ تاب ومثلى عَفا

دَعِ الذَّوْدَ عن مِصرَ لى إننى | أنا السيفُ والآخرون العصا
ولا تُطِعِ الفِتْيةَ العابثيـــن أُسُودَ الكلام نَعامَ الوَغى

« يدخل أنوبيس »

أبى قد أتيت

أنوبيس : سلامٌ عليكِ | شُعاعَ المدائنِ نورَ القرى
الملكة : أبى قد تَلاَقَى هنا العاشقا | ن وكان بتدبيرىَ الملتقى
فبارِكْ فتاتى وبارِكْ فتا | كَ وكَفكِفْ هواه إذا ما غلا
أنوبيس : حياتك حابى كَنيسيَّةٌ | يُشاكلُ أوّلُها المنتهى
مقيَّدة باليقين القَنوعِ | وما أمرَ القلبُ أو ما نهى
الملكة : كزَهرِ المقاصير لم ينتفعْ | بطولِ الأديم وعُرضِ الثرى
أنوبيس : وتحسبُ فى الكتب علم الحيا | ة وما منهُ فى الكتب الا شَدَا
حابىَ : لعلى كذى الشك فى حرصِهِ | يَقيسُ الطريقَ ويُحصى الخُطا
أرى راكبَ الشك ملءُ المجا | ل طويلِ العِنان بعيد المَدى
ولو شككتْ فى السراجِ الفَرا | شُ لكان سلامًا عليها السّنا
أنوبيس : ولكنْ تمرُّ على ما ترا | هُ تُجاوِزُه نحو ما لا يُرى
وهذا الملاكُ

« مشيراً الى هيلانة »

كمولاتهِ طايق الإرادة حُرُّ الحِجَى

تَمَشَّى على جَنَباتِ الحيا ة كما يمشي شُعاعُ الضُّحى

يخوضُ الوحولَ ويغشى الحُلَى ويأوي الحضيضَ ويعلو الذُّرا

ويخترقُ العَرَصاتِ الفسا حَ وينفذُ من ضَيِّقاتِ الكُوَى

ويرتعُ بين أُنوفِ الأُسو دِ ويلعب بين عيون الظِّبا

ولكنهُ طاهرٌ حيث طا فَ نقيُّ الذُّيول عفيفُ الخُطا

الملكة : أبي قد نسينا حديث القتا ل فمنذ الصباح تدورُ الرحى

وجيش الحليف وجيش العدوّ بظهر المدينة رهنُ الوغى

هنالك يُقضى مصيرُ البلا د فإما البقاءُ وإما الفنا

ومن عجبٍ كاد يمضي النها رُ وما من رسولٍ ولا من نبا

« يدخل جندى من جنود أنطونيو منهوكا يعلوه الغبار »

الجندى : سيدتى جئتُكِ بالأخبار لقد جرت بسعدكِ الجوارى

انتصرت جنودُنا الضَّوارى تحت لواء البطل المِغْوار

قيصرُ أنطونيو على آثارى

الملكة : يا فرحًا ما أعظمَ البِشارهْ ! حلَّتْ على أُكتافيو الخَسارهْ

«وأُكتيومُ» قد أخذنا ثارهْ خُذْ يا رسولُ هذه البُشارهْ

« تمنحه بدرة من الذهب فيخرج من باب وتدخل شرميون من باب »

شرميون : سيسعدنى يا طربًا ! سيسعدنى يا فرحًا !
دارتْ على أكتافيو وجيشِ أكتافيو الرَّحى

هيلانه : مَلِكَتى هل تسمعين ؟

« يسمع صوت بوق وهتاف من بعيد » .

الملكة : « منصتة » صوت بوق وهتاف

« تقوم الملكة إلى النافذة وترهف أذنيها وعينيها »

هو واللهِ نشيدى والمُغنُّون جنودى
والمخاريقُ التى تَخْفُقُ من بُعْدٍ بنُودى
ولديْها فارسٌ مُلْتَثِمٌ شاكى الحديد
يَتراءى فى عِنان الجوِّ كالبُرْجِ المَشيد
هو أنطنيوسُ ذُخْرى وطَريفى وتَليدى

« إلى شرميون وهيلانه »

أيها البنتان هذى ليلةُ العيدِ السعيدِ
صَلِّيا مثلَ صَلاتى واسجُدا مثلَ سُجُودى

« يسجد الثلاثة لحظة . ثم تنهض الملكة أولا وتتجه نحو النافذة »

هو ذا أنطونيو من جانبِ الميناء أقْبَلْ
هيكلٌ يحمِلُه من صافناتِ الخيل هيكل

الرِّداءُ الأُرْجُوانىُّ على عِطفيْه مُسبل
مَبسِمٌ يضحكُ من تحت حبينٍ يَتهلَّل
هو ذا يدنو

شرميون : آتٍ واللهِ .

هيلانه : مولاتى ترجَّل

الملكة : « تبتدر الباب »

أيها البناتُ هذى ليلةُ العيدِ السعيدِ

أنوبيس : « هامساً لحابى »

حابى ، أُحيط القصرُ بالذئاب وبى من السُّخط عليهم مابى

« للملكة »

سيدتى تأذنُ فى انسحابى ؟ وتأذنين مَلْكتى لحابى ؟

الملكة : « ضاحكة »

إلى الأفاعى ؟

أنوبيس : لا ، إلى المحراب

الملكة : رَأْيَكما فى المُكْث والذهاب

« يخرجان ويدخل أنطونيو وحاشيته وقواده وتابعه أوروس . أنطونيو يقبل على الملكة مادا يديه »

أنطونيو : إلهتى !

الملكة : _ قيصرى !

أنطونيو : سلطانتى !

الملكة : مليكى !

أنطونيو : غندى لك اليومَ يا دُنياىَ أخبارٌ

الملكة : عَجِّلْ فديتُكَ

أنطونيو : لا ، لا بدَّ من ثمنٍ !

الملكة : كرائمُ المال ؟

أنطونيو ما للمال مِقدارٌ

« يمد اليها جبينه فى صراعة »

رُدِّى على هامتى الغارَ الذى سُلِبتْ فقُبلةٌ منكِ تَعلوها هى الغارُ

« تقبله »

كيلوباترا :

اليومَ تَعلم رُوما أنَ ضَرّتَها تُقلِّدُ الغارَ مَن تَهوَى وتختار

واليومَ تعلمُ روما أَن فارسَها جيشٌ بمرَدِهِ فى الرَّوْعِ جرّار

أنطونيو سيدى ، هل نحن فى حُلُمٍ ؟ أسالمٌ أنت ؟ لا أسرٌ ولا عار ؟

أنطونيو :

أَسرٌ ؟ وَهِمتِ كِلوباترَا ، أتَظْفَرُ بي — أيدى الكُماةِ وفى كفىَّ أظفار
لو قلتِ قتلٌ لكان القولُ أشبهَ بي — كأسُ المنايا على الأبطال دوّار
الحربُ تَعلمُ والأيامُ تَشهدُ لى — أنى شديدٌ على الأقران جبّار
لو كنتِ شاهدتى والحربُ جارفةٌ — والصفُّ تحتىَ بعد الصفِّ ينهار
قد جُنَّ تحتى جوادى فهو عاصفةٌ — وجُنَّ نَصْلِي بكَفى فهو إعصار
رأيتِ حملةَ صدقٍ غيرَ كاذبةٍ — لا السَّيْلُ يحمِلُها يومًا ولا النار
لما صَدمتُ جناحيْهم وقلبَهمو — عن الخيام وعن أوكارهم طاروا
وما وجَدتُ لا كتافيو وقادتهِ — ريحًا ، ولم أتبيَّنْ أيةً ساروا
ومالتِ الشمسُ أو كادتْ فراجَعَنى — شوقٌ إليكِ قديمُ الداء سوّار
حتى رَجَعتُ ولو أنى طَردتُهمو — لباتَ أكتافُ عندى وانقضى الثار

كيلوباترا :

تركتَهم لغدٍ ؟ هذى مجازفةٌ — غدٌ غيوبٌ وأسرارٌ وأقدار

أوروسُ أنت بفنِّ الـ — ـقتال أعلَمُ مِنّى
الحربُ فَنُّك أورو — سُ والسياسةُ فنى
إن كان « مَرْكُ » إلها — فأنت فى الحرب جِنّى
فكُنْ بحقِّك عونى — وقلْ لقيصرَ عنى

فقمله منك نعلوها في الغار ردى على هامتى الغار الذى سلبت

(صفحه ٢٧)

إن المنى لم تقصرْ بل قصّرَ المتمني
فلو صبرتم قليلاً وسرتمو في تأني
أرحتموني وروما من الخصام المعْني
أوروس: سيدتي لم تقصدي لما عذلتِ سيدي
عجلتِ في الحكم على مالم ترىْ وتشهدي
لقد حملنا حملة كمثلها لم يُعهَد
استنفدتْ بأسَ القنا وقوّةَ المهنّد
فكان لا بد لنا نُرجي القتالَ للغد
أنطونيو: كِلُوباترَا دعينا من تجنّيكِ كلوباترا
أتبكين على الصبر وقوم حُرموا الصبرا ؟
وبي من صبرك الواهي جراحُ الأمس لم تبرا
لقد منّيتُ أسطولي لدى أسطولكِ النصرا
حليفٌ كنت أرجو أن سأشتدُّ به أزْرا
فعباً تحت أعلا مِلكِ حتى زَحما البحرا
وقد كانا الجناحين وقد كنتُ أنا النّسرا
وأجرَى الفُلْكَ أكتافيو فأجريتُ كما أجرى
صففْناها وأرسلْنا بها تقتحِمُ الجمرا

كِلانا مارسَ الحر ... بَ وعانى الكَرَّ والفرّا
فلما آذنتنا الحربُ ... بالمعركة الكبرى
تَسلَّلتِ بأسطولك ... من غمرتها الحرّى
فقلتُ انسحبتْ ضعفًا ... وقال الناسُ بل غدرا
ولو كانَ لهم قلبٌ ... كقلبي التمسوا العذرا

كيلوباترا: أنطونيوسُ أنطونيوسُ ... مَلِكي سيّدي
ليس العُبوسُ سُنّةً ... لوجهك الطَّلْق النّدى
ولستَ من يغضبُ فى ... ليل الشّراب والدَّدِ
ولستَ للكاس على ... شاربها بالمُفسِد
قلبُك كنزُ الحب والـ ... رحمةِ والتودُّد
وكم حَقَدتَ ثم أصبحـ ... تَ كأن لم تحقِد
ألستَ بالأمسِ وأمـ ... ـسِ لفتةٌ لم تبعُد
وَهبتَ لى جزيرتى ... والصفحُ نصف السُّؤدَد
فاطوِ معى حوادثَ الأ ... مس ولا تُجَدّد
وامضِ معي فى لَذّةِ الـ ... ـيوم ودَعْ هَمَّ الغد

أنطونيو: كلوباترا. بجبينِكِ ... من التأنيب خَلِّينا
لقد سُقتُ وقوّادي ... إليكِ النصرَ فاجزينا

مُري بالكاسِ والطاسِ وبالنُّدمان يَسقينا
وبالقَصف وبالعزفِ وحُذّاقِ المُغنّينا
وما طُيِّب ألوانًا وما طاب رياحينا
وقولى الشعر عُلْويًّا كما كنتِ تقولينا
وأوحيه إلى شاديك يُلقيــــه فيُشجينا
غــداً نستأنِفُ الحر بَ ونَطويها ميادينا

انشو : ونَغشاهــا مَخاميرَ ونلقاها مجانينــا ؟

كلوباترا : مُرْ بما شئتَ قيصرُ وأشِرْ كيف تأمرُ
لكَ قصري وما حوى الـــقصرُ كُلٌّ مُسخَّر
ليس شيءٌ وإن غلا عن حبيبٍ يُؤخَّر
لَتكونَنَّ ليـــلةً آخرَ الدهر تُذكَر
لا نُبالى إذا صَفتْ بعدها ما يُكدِّر
تَحلُمُ الحُلْمَ لستَ تَد رى بماذا يُفسَّر

البدارَ البدارَ يا وُصفائى ووصيفاتىَ البدارَ البدارا
قيصرٌ قيصرٌ هو الآمرُ النا هى على القصرِ فليَكنْ ما أشارا
هو يَبغى وليمــــةً فاصنعوها واسقِوها كما اشتهى واختارا
أطلِعوا هــذه الشموعَ شُموسًا تَذَرُ الليــلَ بالعَشِيِّ نهارا

وأعِدّوا الخِوانَ قد خُمِّل الأ   لوان شتّى وجُلِّلَ الأزهارا
واجمعوا بالمُدام شَمْل النَّدامَى   وأديروا الكؤوسَ والأوتارا
واجعلوها وليمةً وبِساطًا   يتبارى خلاعةً ووَقارا
مصرُ إن أولمتْ سَمتْ بالأغانى   درجاتٍ وأسمت الأشعارا
لا تَسيروا على ولائم روما   سَرَفًا فى الفُسوق واستهتارا
كلما أولمتْ أساءتْ إلى العق   ل وجَرَّتْ على الحضارة عارا
ولقد تجعلُ النِّمارَ نَداما   ها وأسْد العَرينة السُّمَّارا

قائد رومانى : « لوميله غاضباً »

أتسمعُ ما تقول عَدوُّ روما ؟   قد اجترأَتْ على روما البَغِىُّ
أتحت لوائها وبجانبيْها   يخوضُ الحربَ من روما كَمِىُّ ؟!

الآخر : غداً تَلقى وإن غداً قريبٌ   عقابًا فى البلاد له دَوِىّ

الأول : « لأنطنيوس فى عتب وغضب »

أميرىَ أنطونيو أفى الحق أننا   نَبيتُ سُكارَى والعدو مُبَيِّتُ ؟

« ينظر اليه أنطونيو نظرة طويلة ثم ينصرف عنه إلى كيلوباترا فيهمس القائد »

ألا إنه ليلٌ له ما وراءه   غرامُكَ حىٌّ فيه والمجدُ ميِّت

« ستار »

الفصل الثانى

« فى حجرة الولائم بالقصر الملكى ، حيث ترى كيلوباترا ووصيفتاها هيلانه وشرميون ، وأنطيوس وأووروس وبضعة من القواد الرومان ، وأولمبوس طبيب الملكة ، وأنشو مضحكها ، وغانيز ساقيها ، وحاجب يعلن أسماء القادمين »

أنطونيو : قياماً نشرب الخمرا على حُبّ كلوباترا

كيلوباترا : على حُبك أنطونيو على الجيشِ على مصرا

قائد رومانى : على روما

كيلوباترا : دَعوا روما ولا تَجروا لها ذِكرا

فما أنطونيو منها وإن كان ابنها البِكرا

ولكنْ تحت أعلامى يَقودُ البرَّ والبحرا

القائد : أحقٌّ مارِكُ انطونيو سُ مِن روميّةٍ تَبرا ؟

« تنظر اليه كيلوباترا فيقرأ فى عينيها ما تريد »

أنطونيو : أجلْ أتبعُ مولاتى ولا أعصِى لها أمرا

كيلوباترا : على حُبكَ أنطونيو

أنطونيو : ثلاثاً أربعاً عَشْراً

أنشو : وإن شئتَ فعشرينَ الى ما فوقها سُكرا

وإن شئتَ مِن الدنيا وصَلْنا السُّكرَ للأخرى

قائد رومانى : « لزملائه همساً »

دَعوا أنطونيو إنى أرى السُّكْرَ به أزرَى
لقد كان الفتى الفَطْنَ فصار الحَدَثَ الغِرّا

قائد آخر : « همساً »

سنَلبثُ ساعةً نحتالُ حتى إذا سُلّتْ عُقولهمو انسلَلْنا
فما المُتدَلّه السِكّيرُ أهلا لِتنصُرَه السيوفُ إذا استُلِلْنا

الحاجب :

أياسٌ المُغنّى وجَوْقَةُ العُزّافِ
وراقصاتُ القصرِ

« يدخلون »

كيلوباترا : أهلاً بوفدِ الآلهة أهلِ الفنونِ النابِهة

الحاجب : الشيخُ زَيْنون
رُبّانُ أنطونياد « يدخلان »

أنطونيو : ماذا عن الأسطول منكَ يا أخيلُ تَعلمُ ؟
هل خَمَدَتْ فتنَتُه أو لم تَزَلْ تَضَرَّمُ ؟

أخيل : مَولاىَ إن البحرَ يُخْ فى سِرَّه ويكتُمُ

وما نواه في غدٍ مثلُ غـدٍ مُستَبْهم
فلا أقولُ مُقدِمٌ ولا أقولُ مُحجِم
ولا أقولُ يَنبرِى للحرب أو يَستَسلِم

كيلوباترا أحيلُ دَعْنا من غدٍ إن غـداً تَوَهُّم
أحيلُ ما العيشُ سوى ساعةِ صفوٍ تُغتَم
فلا تَكنْ كداخلٍ على النَداَمى يَلطِم
أتيْتَهـم مُنادماً لم تأتِهم ليَندموا
اليومَ شُربٌ

زينون وغـداً حـربٌ

غانميز : كلامٌ مُحكَم !

الحاجب لولا الشاعرُ حَـبرا الساحرْ

كيلوباترا : « ضاحكة »

حَبرا ، أعندكَ سِحرٌ يَشُلُّ طاغوتَ رُوما ؟
ويَجعَلُ الناسَ فيهـا حِجارةً ورُسوما ؟

« القواد الرومانيون يدمدمون »

أنطونيو سيدتى لا تجرحى فُؤادى ولا تنالى بالأذى أجنادى ،
وقلّلى السُخط على بلادى

كيلو باترا: أنطونيو ما أنت رومانىٌّ ألم تقلْ إنك لى جُنديٌّ ؟

أنطونيو : بلى وردتُ أننى مِصرىٌّ وأننى تابِعك الوفىٌّ

ما فى سوى رضاكِ لى مُضِىٌّ

أنشو : تلك واللهِ قضيهْ أصبح الراعى رَعيَّهْ

حَكم الحبُّ على قيْ صرَ والحُب بليّـهْ

صار كالشعب وساوَى هَمَجَ الاسكندريهْ !

أنطونيو : حبرا تَكلّمْ ، ألا تجيبه ؟ من سِحر مَنْفٍ أو سِحر طِيبهْ

حبرا : إلهَ الحرب سامحنى فانى غُلِبتُ على أبالستى الغِضابِ

همو لا يَجلِسون على غِناء ولا يتحدثون على شراب !

كيلو باترا : ولكنْ قيصرٌ يدعوك حَبرا وقيصرُ لا يُردُّ بلا جواب

وأنت الكاهنُ العرافُ فانظر أغيرُ السحر شىء فى الجِراب

حبرا : إذا ما شئتِ مولاتى فإنى أطالعُ فى الكُفوف وفى الكتاب

كيلو باترا : أدْنُ من قيصرَ حبرا وانظرِ الكفَّيْنِ واقرا

أنطونيو : تعالَ حبرا وقلِّبْ يَدىَّ يُمنَى لِيُسرى

لعل أسرارَ كفى كواشِفٌ لك سِرا

« يتقدم حبرا ويتمعن فى كف أنطونيوس »

ألا ترى لى بقاء ؟ ألا ترى لى عمرا ؟

الا ترى لى بقاء؟ الا ترى لىَ عُمرا؟

حبرا : يا عَجَبَ الفأل! مولا ى أعجبُ الناس أمرا

حياتُه بيـــديه والناسُ يحيَوْن قسْرا

إن شئتَ عشتَ نهارا او شئتَ عُمِّرْتَ دهرا

قائد رومانى . « إلى زملائه همساً »

لو كنتُ منه قريبًا لقلتُ فى أُذْن حبرا

حيـــاتُه فى يَديْه أم فى يَدىْ كيلو باترا!

كيلو باترا تعالَ الآنَ سَلْ كَفّى وبيّن ما الذى تُخفى

« تتقدم حبرا اليها وتمسك يدها بعناية وشغف »

حبرا : يا لكِ كَفًّا كَنقىِّ العاجِ ناعمةٍ كَخَمَلِ الديباجِ

لامِسُها من الجحيم ناجِ!

« ضحك »

تَفدى الأكُفُّ كلُّها يمينا بيضاء حمراء تَرِفُّ لِينا

كما أطلّ الشفقُ النِّسْرينا

انطونيو : « ضاحكا »

سمعتِ حبرا مَلَــكَتى كيف ابتكرْ كُلِّف أن يَصنَع سِحرا فشَعَرْ

بولا الشاعر : السحرُ والشعرُ سواءٌ فى الأثرْ

كيلوباترا : لقد أعجبكَ الشعرُ وراقتْكَ معانِيهِ
وما سَرّكَ أنطونيو سُروري كلُّه فيــه
فما تأمرُ فى حبرا بأىِّ البرِ أجزيه ؟
حبرا : « لأنطونيو »
جائزتى يا سيّدى تقبيلُ هذه اليدِ !
أنطونيو : « ضاحكا »
قَبِّـلْ ولا تَرَدَّدِ !
« يقبل يديها بين إقدام وإحجام »
حبرا : عجبٌ عينىَ لا تقـ وَى على هذا الضياء
هــذه كفُّ إلهٍ : جاء فى زِىِّ النساء
كيلوباترا : خَلِّنى مِن زُخرُف المد ح ومِن زورِ الثناء
ما وراء اليـــد يا عرّ افُ من غَيْب القضاء ؟
أحضيضٌ يومىَ الآ خِرُ – قلْ لى – أم سماء ؟
خاتمُ الأيام أوْ لىَ باهتمام العظماء
حبرا : مَلْكتى يومُكِ فى الآ ءِ ام منشورُ اللواء
نابهُ الصبح كيوم الـ شمس عُلْوِىُّ المَساء

خَطَرَ العِزُّ عليـــــه . ومشى فيه الإباء
ثم يتلوه بقاء . لم يُطاوله بقاء

أنشو : « لزينون »

رأيتَ الشعرَ قد أجدَى فمـاذا قلتَ يا فار ؟

زينون : إلهتى ومَلاكى كُفِّى المهرّجَ عنى
قد نال منىّ ولولا ناديكِ ما نال منى

أنشو : سيدتى عبـدُكِ أنشو قد صدقْ
الفـارُ فى مَكتَبَةِ القصر نطق
يقول إن أسرِقْ فزينونُ سَرق !
هَمّىَ فى الجلد وهَمُّــه الورق
يَسطو على آثار كلِّ من سبق !

أنطونيو :

إنى أرى أنشو وأمثالَه زادوا على زينونَ فى الجُرْأَهْ
ياوَيْحَ للشيخ على فضـله أصبح فى مَجلِسِهم هُزْأَهْ

أنشو : هَبوه فى الدرس بحراً هبوه فى العلم أُمّــهْ
لا يَخلُقُ العـلمُ نفساً ولا يُنبّــه هِمّــه

كم عالمٍ فى يد الجا هلين مُلقَى الأزِمّــه

كيلوباترا : أقِلّ المَزحَ يا أنشو وأرسلْه بمقـــدارِ

فلولا الجهلُ ما رُحـــتَ تَقيسُ اللّيثَ بالفار

زينون : ياسماء احفظى و يا أرض صونى

أظهرتْ عَطفَها على زينون !

كيلوباترا : يا غانمـــيز هاتِ النبيذْ

هاتِ اسقنى واسقِ الحبيبْ

واسقِ المَلا

يولا الشاعر : بنتُ الدِّنانْ أمُّ الزمانْ

خبّـــأها فى قَبْـوِهِ

ساقٍ مِنـــا

لونُ الفَرَحْ حِبّا القَدَحْ

سِرُّ السرورْ صَفوُ الحياهْ

قُوتُ المُنَى

كيلوباترا : قيصرُ ذي سُلافةُ الفيومِ

تُنْمَى إلى عَقائل الـكُرومِ

مَخبوءة من عهد مصرائيم

قد عُمِّرتْ كعُمُر النجوم

دِنانُ مصرٍ لا دِنانُ الروم !

القواد الرومان · « يدمدمون ويتهامسون »

قائد : قولوا يا رومانيوما تحيا روما

آخر : تحيا

ثالث : تحيا

أنشو : « ضاحكا »

تحيا الخمر يحيا السُّكْرُ

القواد : تحيا روما

جماعة من المصريين : تحيا مصرُ

أنطونيو : أيها الشادى أياسْ بلغ السُّكْرُ مَداهْ

غَنِّنى شعرَ مَلاكى غننى شعرَ « الإله »

أنا لا أطرَبُ حتى أسمعَ « الحبُّ الحياه »

أياس : « مغنياً »

أنا أنطونيو وأنطونيو أنا : ما لروحينا عن الحُب غِنى

غَنِّنا فى الشوقْ أو غَنِّ بنا ... نحن فى الحب حديثٌ بعدنا

رَجَّعتْ عن شَجونا الرّيحُ الحَنونْ ... وبعينيْنا بَكَى المِزْنُ الهَتونْ
وبَعثنا من نُفاثاتِ الشُّجونِ ... فى حَواشى الليـل بَرقًا وسَنَى

خَبِّرى يا كأسُ واشهدْ يا وترْ ... وارْوِ ياليـلُ وحدِّثْ يا سحرْ
هل جَنينْا من رُبا الأُنس الثّمرْ ... ورشفنا من دَواليها المُنَى

الحياةُ الحبُّ والحبُّ الحيـاةْ ... هو من سَرْحتها سِرُّ النَّواةْ
وعلى صحرائهـا مَرَّتْ يداه ... فجرتْ ماءً وظلا وجَنَى

نحن شعرٌ وأغانىٌّ غدًا ... بهوانا راكبُ البيـد حدَا
وبنا المَلاّحُ فى اليمّ شـدا ... وبَكَى الطيرُ وغَنَّى مَوْهِنَا

مَن يَكنْ فى الحب ضَحّى بالكَرَى ... أو بمسفوح من الدمع جرَى
نحن قرّبنا له مُلْكَ الثرى ... ولَقِينـا الموتَ فيه هيِّنا

فى الهوى لم نألُ جُهدَ المُؤْثِرِ ... وذهبنا مَثلاً فى الأعصُرِ

هو أعطى الحبَّ تاجيْ قيصر لم لا أُعطى الهوى تاجيْ مِنا

∴

صوت : مرحى مرحى يحيـا الفنُّ

آخر : يحيـا الشعرُ

ثالث : يحيـا اللحنُ

« تقوم كيلوباترا إلى شرفة فيتبعها أنطونيوس »

قائد رومانى : « لزميل من زملائه هامساً »

هلاّ نظرتَ إلى الأميرة ؟ إنها سَكْرَى تَعثَّرُ فى خليع عِذارِها

آخر :

وتأمّل المفتونَ كيف جرى على آثارها وانجرَّ فى تيـارها

آخر : « لزملائه حيث يسمعه أوروس وأولمبوس »

وانظرْ إلى أوروسَ فى تَرَدُّدِهْ يأبى الهُتافَ معنـا لمَولِدِهْ

أولمبوس : « ساخراً »

أوروسُ مِلْءُ يومه مِلْءُ غدهْ فتى تَضِجُّ الحربُ من مُهنَّدهْ

ويَشتهى الأبطالُ فضلَ سُؤدَدِه قد راعنى فناؤه فى سيده

بنفسه وقومـــه ومَولدِه يَغلو غُلُوَّ الكلبِ فى تودّده

تلك الدعابة يا طبيب ثقيلة ؛ فحذار ثم حذار من تكرارها

يُقيِّدُ الكلب وراء مَرصَده فيحرسُ الدارَ على مُقيِّده

أورُوس :

تلك الدُّعابةُ يا طبيبُ ثقيلة فحَذارِ ثم حَذارِ من تكرارها

لولا الوليمةُ والشَّرابُ وحُرْمة لأميرة الوادى السعيد ودارها

لنزعتُ من أقصى لهاتِك مُضغةً كثُرتْ على الأبطال فى استهتارها

أولمبوس :

أورُوسُ !

أورُوس :

أولمبوسُ صَهْ بَرِحَ الخفا ورأيتَ نفسَك فى مَفاضِح عارها

ماذا خبأتَ من السُّموم لملكةٍ غفلتْ عن الأفعى ولُؤمِ جِوارها ؟

إلّا تكنْ عَلِمتْ فانك عندنا جاسوسُ أكتافيو على أسرارها

ما زِلتَ منذ وفَدتَ تُطلِعُه على أخبار قيصر أو على أخبارها

إنا رجالَ الحرب ليس يفوتُنا لَحْظُ العيونِ ولا خَفِيُّ حِوارها

أولمبوس : « يحاول أن يتكلم فيمسك به قائد رومانى ويهمس اليه »

أقصِرْ أخى إن الجماعةَ عربدت فاذا لجَجتَ لَقيتَ من أنظارها

إسلَمْ بنفسك فى الظلام ولا تُثِرْ رِيَبًا أخافُ عليك غِبَّ مَثارها

إني لأخشى الكأس أن تجري دَمًا   فتُصيبَ شيئًا من رشاش عُقارها

أولمبوس : « لنفسه وهو ينسل الى الخارج »

آوروسُ ! أنطونيو ! حسابُكما غداً   روما الأبيَّةُ لم تَنمْ عن ثارها

« يخرج »

أنطونيو : « من أقصى البهو »

أما للرقص هيـلا   نةُ في ليلتنا حِصّهْ ؟

ألا نَجمَعُ بين الكأ   س والنغْمة والرقصه ؛

فهذي فُرصةُ الأُنـ   ـس وقد لا ترجع الفُرصه

هيلانه : الراقصاتُ يَمّمنا . الراقصاتُ يَثِبنا

ولا يَدعْنَ افتنانا   ولا يُقصّرْن فنّا

« تقوم الراقصات برقصة مصرية »

أنطونيو : « قادماً »

مرحى مرحى   يحيا الفنُّ

صوت : ـ يحيا الرقصُ

آخر : يحيا الحسنُ

أنطونيو :

قد انتصف الليلُ أو فوقَ ذا   لك وآذنَنا بالمُضيِّ الدُّجى

ودونَ الخيـام سُرَى ساعةٍ ... وعند الصباح تَدورُ الرحى

فهل تأذنين لنـا يا مَلا ... كُ؟ فلا بد من سِنةٍ من كَرى

ولستُ أقولُ مَلاكى الودا ... عَ، ولكن أقول إلى الملتقى

كيلوباترا :

مكانَك قيصرُ لا تَذهَبنّ ... ولا تبرَحِ القصرَ أهلكْ أسَى

أنطونيو :

ذَريني أُعبّئْ للقتـال كَتائبى ... فلى فى غدٍ شأنان فى البر والبحر

ذريني أُهيّئْ للأحاديث فى غدٍ ... فان غداً يومٌ سيبقى على الدهر

ذريني أزِدْ تاجيْكِ غارَ وقائعى ... وأقرِنْ شَعبانَىْ جلالهما نَسرى

ولستُ اخافُ الدارعِينَ وإنما ... أخافُ فُجاءاتِ الخيانة والغدر

وليس كَمِينَ الحرب ما أنا هائبٌ ... ولكن كمِينَ الغدر فى ظُلمة الصدر

« لأخيل »

فيا قائدَ الأسطول هل من مَكيدةٍ ... تُدبّرُ لى خَلفَ الشِّراع وما أدرى؟

كيلوباترا : إمضِ إلى الهيجاء أنـطونيو كما يَمضى الأسدْ

إن الأسود فى اللِّبَدْ ... دونك فى هذا الزَّرَدْ

إمضِ إلى المجـد ولا ... يُقعِدْك شُغلٌ فى البلد

المجـدُ لا يَسألُ عن صاحبةٍ ولا وَلَد

أنت لروما فى غـدٍ وقيْصرونُ بعـد غد

والشرقُ سلطانى الذى إكليـلُه لىَ انعقَد

يا ليثُ سِرْ، يا نسرُ طِرْ عُدْ ظافراً أو لا تَعُد

« ستار »

الفصل الثالث

« معبد فى الاسكندرية ، يقسم جداره المسرح الى قسمين القسم الاصغر »
« خارج المعبد وتنهض فيه شجرة باسقة والقسم الأكبر داخله وتظهر فيه حجرة »
« الكاهن الاكبر أنوبيس وعلى جدرانها رفوف نسقت عليها حقائق وقوارير »
« وهنا وهناك صرر وصناديق يشف بعضها عما فيه من أفاع وحيات ـ باب خلفى »
« يؤدى الى المعبد . ونافذة جانبية تطل على الفضاء »

« فى حجرة الكاهن أنوبيس »

أنوبيس : « يناجى نفسه »

يقولون أنوبيسُ   وَلوعٌ بأفاعيه
ومشغوفٌ بثعبانٍ   من الوادى يُربّيه
وفى ناديه حيّاتٌ   من الجِن تُناجيه
ولو ذاقوا هوى العلـم كما ذُقتُ فَنوا فيه
ألا يا رُب خدّاعٍ   من الناس تُلاقيه
يَعيبُ السُّمَّ فى الأفعى   وكلُّ السم فى فيه !

« يخرج من الباب الخلفى »

...

« خارج الهيكل — تحت الشجرة — أنطونيوس وأوروس »

أنطنيوس: أوروس إنى جَهِدتُ مَشيا   ومَسّنى الضُرُّ والكَلالُ

فِلْ بنا نَسترِحْ قليلاً   من قبلِ أن يَدهَمَ الرجال

« يجلس أنطونيوس منهوكا على حجر فتأخذه الذكرى »

أوروسُ ماذا دهانى ؟   حتى نَسِيتُ مكانى

أتيتُ ما هَدّ مجدى   وحَطَّ رِفعــةَ شانى

جَلّلتُ نفسى بعــار   يبقى بقاء الزمان

لمــا حَمَلتُ جوادى   على الفِرار ازدرانى

وضَجَّ مِنىَ سيفى   وضجّ منى سِنانى

ووَدّتِ الأرضُ تحتى   لو طُهِّرَتْ من عِيانى

أنا الذى كان أمضَى   من الحديد جَنانى

الشرقُ يَدرى نِزالى   والغربُ يَدرى طِعانى

كان الملوكُ عبيدى   فصِرتُ عبدَ الحسان

ولستُ أولَ حُرِّ   إستعبدتْه الغــــوانى

« يسكت لحظة ثم يستمر »

ولم أرَ كالحرب استراحَ قتيلُها   وأفضى الى القَيْدِ الأسيرُ المقيَّد

ولكنْ شقيٌّ الحرب والمُصطلى بها

إذا انفضّتِ الحربُ الطريدُ المشرَّد

ولولا اختلافُ الحرب بالناس لم يَهُنْ
عزيزٌ ولم يَنزِلْ على القيْدِ سيّد

أوروس :

وقارَكَ قيصرُ لا تَجزعَنَّ وخلِّ المقاديرَ تَجرِ المَدى
تَلَقَّ الهزيمةَ ثَبْتَ الجَنا نِ كما كنتَ تلقى الفتوحَ العُلا
فما أنتَ أولُ نجمٍ أضا ءَ ولا أنت آخرُ نجمٍ خبا
وقد تنزِلُ الشمسُ بعد الصعو دِ وتَسقُمُ بعد اعتدالِ الضُّحَى
ويا رُبَّ غازٍ عَراه الجُفو نُ على هامةٍ قد علاها البِلى
أمالك أنطونيو أُسوَةٌ بيوليوسَ قيصرَ أين انتهى ؟
رأيتك والحربُ تَبلو الكُما ةَ فأشهدُ كُنتَ إلهَ الوَغى
وقد كان سيفُكَ غُولَ السيو فِ وكانت قَناتُكَ غولَ القَنا
وكنتَ إذا الموتُ أفضى اليـ ـك تحدَّيتَه فانثنى القَهقَرَى
وكان جُنودُك شرَّ الجنو دِ عليك وخيرَهمو للعِدا
فخانت أساطيلُ أمَّلتَها وجيشٌ عَقدتَ عليه الرجا
وخُلِّفتَ فى عَسكرٍ كالنِّعا جِ كثيرِ الثُّغاءِ قليلِ الغَنا
فمِن يائسٍ مات قبل القتا لِ ومن خائنٍ فرَّ قبل اللِّقا

أنطونيو : إذنْ لم أكنْ فى الوغى بالجبا ـ ـ ـ ن ولا خُنتُ أوروسُ عهدَ الهوى ؟
ونشهدُ أنىَ أنطونيو ـ ـ ـ س وأنى ابنُ روما وأنى الفتى ؟
فان عِشتُ عِشتُ تقىَّ الجبيـ ـ ـ ـ ن وإن مِتُّ مِتُّ كريم الثنا

« يرى أنطونيو شبحاً فيسأل أوروس مبهوتاً »

أنطونيو : أوروسُ !

أوروس : مولاىَ

أنطونيو : تأمَّلْ مَن ترى ؟

أوروس : هذا أولِمبوسُ وقد حَثَّ الخُطا

أنطونيو . تُرَى إلى أين ؟ ومن أين أتى ؟

أوروس : ها هو سارٍ نحونا ها قد دَنا

« يظهر أولمبوس »

أولمبوس تحيةُ قيصرُ

أنطونيو : بل أنطونيـو لا غير بل قُلِ الشَّريد المقتفى
لا تخدعونى قادراً وعاجزاً كفى غروراً بالوِلايات كفى

أولمبوس مولاى

أنطونيو : لستُ اليومَ مَوْلَى أحدٍ أكتافيو السَّيدُ والعبدُ أنا

مررتَ بالقصر فكيف ناسُه ؟ هل عن كلوباترا أولمبوسُ نَبا ؟

صِرْ، أينْ، قُل، عدرتْ، قل حَدِّدتْ نقيصر الثالثِ دُولَةَ الهوى

قد ضيعتْ بي عند حاحة الوغى ما لم يكنْ يصنعُه بىَ العِدا

أسطولها إلى مراسيه أوَى وجيشُها ألقى السلاحَ ونجا

أولمبوس : مولاىَ ! أعفِنى

أنطونيو . تكلمْ لا تخفْ

إنى أرى عليك رَوْعةَ الأسى

أولمبوس :

مولاى مهلاً فى الظنون واتّئدْ إن مِن الظن اتهامًا وأذى

أنت على مالك من مُروءةٍ رميْتَ بالغدر أحب مَن وفى

أنطونيو . ماذا تقول ؟

أولمبوس كليوباترا انتحرتْ بطَعنة الخَنجر فى صدر الضُّحى

أنطونيو .

يا للسماء ! انتحرتْ ! أين ؟ أيْنْ ولِمْ ؟ وكيف كان ذاك ؟ ومتى ؟

أولمبوس :

مررْتُ بالقصر ضُحَى اليوم فلم أحدْ له نَظْما ولا حُسنا يُرى

يَدا لعينيَّ. خَـلاءٌ موحِشا غـيرَ عويلٍ هنـا وهنا

أنطونيو : إنتحرتْ ! يا لِلْخبرْ ! ويا لِقسوة القدرْ !

إن الأمورَ انتقلتْ من خَطرٍ إلى خَطر

ما غَدرتْ وإنمـا أنا الذى بهـا غَدر

واخَجْلتا من قولهم انتحرتْ وما انتحر !

إذهب أُولمبوسُ ودعـــنى والهمومَ والكَدر

ما بجِراحات القلو ب للأطبّاء بَصَر

« يذهب أولمبوس »

أنطونيو :

روما حنانَك واغفرى لفَتاكِ أوّاهُ منك وآهِ ما أقساكِ !

روما سلامٌ من طَريدٍ شارد فى الأرض وَطَنَ نفسَه لهَلاك

اليومَ يَلقى الموتَ لم يهتِفْ به ناعٍ ولا ضَجّتْ عليـه بواكى

إن الذى أعطاكِ سُلطانَ الثرى لم تَنمِى لرُفاته بثَراك

إن الذى بالأمس زِنتِ جَبينَه بالغار عقَّك جُهدَه وعصاك

يا رُبّ تاج فى جبينك زاهر عطّلتْ منـه مَفارقَ الأملاك

الأمّهاتُ قلوبهن رقيقةٌ ما بالُ قلبك لم يَلِنْ لفَتاك !

أعرضتِ غضبى فى الحياة فرحمةً   لا تحرمينى فى الممات رضاكِ

إن كان موتى كلَّ ما تبغينه   فهنـاكِ ! هأنذا أموتُ ، هناكِ !

يا أمُّ عـذرُكِ فى اتهام بنوّتى   بادٍ وعذرىَ فى العقوق كذاكِ

لولا الجمـالُ وفتنة من سحره   ما حلَّ فى قلبى هوًى لسواكِ

صفحًا كاوبترا فربَّتَ زلَّةٍ   قد كنتِ تغتفرين حين أراكِ

لمـا اتيتُكِ فى الجمال وعزِّه   قهرتْ قُواى الظافراتِ قُواكِ

فنسيتُ فى ناديكِ ذِكرَ وقائعى   وسلوتُ أيامى بيوم لقـاكِ

سجدتْ لأعلامى الصوارمُ والقنا   وأبى مهنَّـدُ لحظِكِ الفتّاكِ

قدتُ الجحافلَ والبوارجَ قادراً   ما لى ضعفتُ فقادنى جفناكِ ؟

اخرجتِ أمرىَ واختيارىَ من يدى   وتركتنى نفسًا بغـير ملاكِ

خِلتُ السـلامةَ فى نواكِ فذقتُها   فاذا الكوارثُ كلُّهنَّ نواكِ

عاديتُ قومى فى هواكِ وأضرمتْ   روما علىَّ الحربَ من جرّاكِ

وشرّدتُ فى شرق البلاد وجدَّ فى   طلبى عِداىَ بغربهـا وعداكِ

أغدو على سيف العـدوِّ ونارِه   وأروحُ بين مكامنٍ وشبـاكِ

وتلمّستْ نفسى السيوفُ ورامنى   فى البر والبحر الكمىُّ الشاكى

كانت حيـاتى للرجالِ أليّـةً   واليومَ هُنتُ فأقسموا بهلاكى

ولقد ذهبتُ من الظنون مذاهبًا ... فذممتُ عهدكِ واتهمتُ وفاكِ

حتى إذا خُتمَ القضاء وراعني ... عُطْلُ المقاصر من بهاء حُلاكِ

ضحّيتُ بالدنيا وقلتُ رخيصةٌ ... وبذلتُ أيامي وقلتُ فِداكِ

أمانًا إلهَ الحرب ما أنت صانعٌ ... بهذا الحُطام المُستباح المُبعثَرِ؟

تقدّ ذلَّ من بعد امتناعٍ كأنه ... بقيةُ نَصلٍ أو رُفاتُ غضنفرِ

صدعتَ أكاليلي وحطّمتَ صارمي ... وجرّدتني من أرجواني المظفّرِ

ولم تألُني هدمًا وكنتَ بُنيتي ... بناءَ الصَّناع القادر المتجبّرِ

ملأتَ سبيلي بالهوى وصروفه ... ومن يمشِ في أرض الهوى يتعثّرِ

تنكّرتَ حتى اخترتَ لي مِعولَ الهوى ... فليتك لم تغضَبْ ولم تتغيّرِ

أروسُ غلامي، إن في النفس حاجةً

أوروس

وعنديَ أقصى طاعة العبد فأْمُرِ

أنطونيو

أروسُ أرى الدنيا بعينيَّ أظلمتْ ... وكانت قديمًا كالصباح المنوَّرِ

وضاقت بيَ الأرضُ الفضاء فكلُّها ... سبيلُ طريدٍ ضائعِ الدَّمِ مُهدَرِ

غَوَيتُ وأَوفَى بي على الحُفرة الهوى ... خففتُ، ومن يركبْ شفا الجُرف يذعَرِ

قُشَعريرةُ الخوف اعترتني ولم تكنْ ... إذا ما اقشعرّتْ تحتيَ الأرضُ تعتري

مُلِئتُ من الأحداث رُعبًا فضمَّني
إليك وقرّبْ من إزارك مِئزرى

أرى الموتَ ممدودَ اليدينِ كمُنقِذٍ
لمثلىَ من غَرَقِ الحيــاة مُسَخَّرِ

دعانى، ولو أنى على النفس مُشفِقٌ
مَدَدْتُ إليه الكَفَّ لم أتأخَّرِ

أروسُ أرى الماضى يُطيفُ خيالُه
وتَعرِضُ لى أحلامُهُ فى التذَكرِ

ذكرتُ بروما أرْبُعِى وملاهِىِ
وأين ضِفافُ النيل من شَطِّ تِيبَرَ؟

وأيامَ يَدْعونى الهوى فأُجيبُه
ويَنفخُ فى البُوق المنادى فأَنبَرِى

فَتَنْتُ الغوانى بُرْهــةً وفَتَنَّنِى
ولكننى عن سُؤْدَدٍ لم أُقصِّرِ

فهِمّةُ قلبى فى شرابٍ وصَبْوةٍ
وهِمَّةُ نفسى فى عَلاءٍ ومَفْخَرِ

أروسُ تواقفنا على كل غَمْرةٍ
وكلِّ مجالٍ ثائرِ النَّقعِ أَكْدَرِ

وفى مِهْرَجان الفاتحين وعُرسِهم
وتحت لِواءٍ أو على عُودِ مِنْبرِ

فمالتْ بنا الدنيا فصِرْنا بموقفٍ
شديدٍ على الأبطال بالذل مُشعِرِ

نرى الأرضَ فيه والسماءَ تناهتا
إلى فَلَكٍ نَحْسِ الجهاتِ مُسمَّرِ

فكيف مُقامى يا أروسُ على الأذى
وصبرى على العيش الذليل المكدَّرِ؟!

أروس :

أجلْ قيصرُ اعتضْنا من العِزّ ذِلَّةً
ومن حِلْيةِ الأعلامِ عُطْلَ التَّنَكُّرِ

فهنّا كأنقاض الحصون على الثرى
وضِعنا عليه كالقنا المُتَكَسِّرِ

نَمِيمُ كأبنــاء السبيل وطالمـا | أخَفْنَا سبيلَ الجاهِلِ المُتَكَبِّرِ
وما مَنزِلُ الأبطال إلا رَحَى الوَغَى | إذاهى دارتْ أو رِواقُ المُعَسْكَرِ

أنطونيو :

فماذا ترى أوروسُ ؟

أروس : رأيُك أوّلٌ | وعندكَ تُرجَى نظرةُ الصدق فانظر
لقدعِشتُ ظِلاًّ لا أرى غيرَما تَرَى | ولا خيرَ فى الرأى التَّبِيع المُسَيَّر

أنطونيو :

أروس أنا الأعمى وأنت هى العصا | فخذْ بزمام العاجز المُتَحيِّر

أروس :

أرى مايراه العاجزون إذا جرى | على النفس مَحتومُ القضاء المُقَدَّر

أنطونيو :

وماذا يقولُ العاجِزون إذا ابتُلُوا ؟

أروس : | يقولون حُكْمُ اللهِ يانفسُ فاصبرى

أنطونيو :

أروسُ يقومُ العاثرونَ وقلّما | يُقالُ عِثارُ الكوْكبِ المُتَغوِّر
أرُوس ألم تفهمْ ؟ هو الذلُّ فاشفِنى | بِضَرْبةِ سَيْفٍ او بِطَعنةِ خَنجَر

فإنك حرٌ إن فعلتَ وفائز ‏ ‏ بسيفي وأثوابي ودرعي ومغفري

أروس:

مَعاذَ خلالِ البرِّ مولاي ! اُعفِني ‏ ‏ فليس يدي تقوَى ولا السيفُ يجتري

وأنت الذي لو بيعَ بالروح وُدُّه ‏ ‏ ومالي سوى روحي تقدمت أشتري

لآلهةِ الرومان أشكوكَ قيصري ‏ ‏ ظَلمتَ فلم تُنصفْ وَلأني وتَنذُر

أتحملُ في الميزان حُبّي وطاعتي ‏ ‏ وشتّى عُروضٍ من ثيابٍ وجَوْهر؟

لقد جاد لي بالسيف والدِّرع قيصرٌ

« يطعن نفسه بخنجره »

وجُدتُ بأيام الحياة لقيصر

أنطونيو:

أوروسُ عفواً قد ذهبتَ ضحيةً ‏ ‏ وحَنَى عليك تَرَدِّي المقوتْ

فعلمتَ مني كيف يجبُنُ قيصرٌ ‏ ‏ وعلمتُ منك العبدُ كيف يموتْ

« يطعن أنطونيو نفسه فيخر على الارض جريحا »

« ينتقل المشهد الى داخل المعبد حيث يدخل أنوبيس الى حجرته ويناجي أفاعيه »

أنوبيس:

هَلمَّ لكنَّ بناتِ التلا ‏ ‏ لِ وجِنَّ الخرائب من صا الحَجَرْ

تبدّلَ من حولكنَّ المكا ‏ ‏ نُ وأين القِفارُ وأينَ الحُجَرْ

فعلمت منى كيف يجبن قيصر   وعلمت منك العبد كيف يموت

يدُ الغـــلم وهى حديدية حوَتــكنّ من جنَبات الحفَر
وجاءت بكن إلى حُجرتى أسارَى القوارير رَهنَ الضَرَر
أرانىَ الناس فى أمركنّ وصرتُ حديثهمُ والسمَر
وقيل أنوبيسُ حاوٍ تسيـــلُ إليه الأفاعى إذا ما صَفر
وما فتنتى بجلودٍ لَكُنّ مُرَقّشَـــةٍ كإهاب النمِر
ولا بهيا كلَ مثـلِ العِصِىّ من اللحم لا من فروع الشجر
ولا برءوس كَدِقّ الحصا ولا بعيونٍ كوَقد الشرَر
ولكن أزاولُ علم السمو م وعلمُ السموم جليلُ الخطر
لقد كان لى فى مُعاناته تجاريبُ أنفقتُ فيها العمُر
الى أن نجحتُ ، نعم قد نجحـــتُ وعاقبة الصابرين الظفَر
فكم قد شفيتُ بطبى اللديـــغَ وأيقظتُ من نزعهِ المُحتضر
فقيل إلهٌ أعاد الحيـــاة إلى الميّتا وخدنُ جنٍ سَحر
صَنعتُ من السم ترياقه وقد تختفى النفعُ تحت الضرر
وأنتنّ والناسُ قد تلتقو ن ففيكُن شرٌ وفى الناس شر

« يدخل حابى خلسة »

أنو بيس :

وتقتلن عمى عيون السلا ح ويقتل قاتلهم عن بصر
لسان ابن آدم أو نابكن كلا البسائلين لعاب القدر

حابى : سلام أبت

أنوبيس: حابى سلام لك يا حابى

حابى : أمشغول أبى اليوم بذات القرن والناب
وأنطونيوس مهزوم واكتافيو على الباب ؟

أنوبيس: « باستخفاف وهو يشير الى أفعى »

حابى تقهقر ناحيه . تلك الخبيثة داهيه :

« يتقهقر حابى قليلا بينما يلهو الكاهن أنوبيس بالحقاق والقوارير »

تلك القوارير وذى الحقاق عوث الى مستنجد يساق
لكل سم عندها ترياق !

أبتى ، من للرعية من لأوطانى الشقيه ؟
خل حياتك فى الأسفا ط واشعر بالرزية
بعد حين تملأ الوا دى الأفاعى البشريه
أبتى . نحن من اليو م عبيد القيصريه

أدنِ أُذْنيك على قُدْسهما من أُذُنَيْهْ
واسمع البوقَ تَجِدْ مِن أحرُف الرقّ دَوِيَّه

أنوبيس : حابى تَقَبّلْ هذه القِنّينهْ واقْبِضْ عليها بِيدٍ ضَنينهْ
فانها ذخيرةٌ ثمينهْ !

حابى : « لنفسه ».

يا لَلسماء لأبى ! تُراه يَسْتهزِئُ بى ؟
ويحَ له ، عساه جُنَّ أو لعله نبى
أوحتْ له السماء علمَ غَيْبِها المُحَجَّب
يَعلمُ من يُلدَغُ من رَقطاء أو مِن عقرب
لأحمِلَنَّ حُقَّه مثلَ تميمةِ الصّبى
يا لكَ شيخًا طيّبًا يأتى بكل طيب !

« مخاطباً أنوبيس الكاهن »

ويحَ الحِمَى أبى ، فكيف للحِمَى لم تَغضَبِ ؟
دع الأفاعى واشتغِلْ بالأفْعُوان الأجنب
الوطنُ المَلدوغ أوْ لى اليومَ بالمُطَبِّب

أنوبيس. وأين كنت يا فتى　　وأين فتيانُ الحِمَى؟
وأين فُرسانُ المَقا　　لِ هل مَضَوْا الى الوغى؟
أدَرتُمو وجوهَكم　　ساعةَ دارتِ الرحى
تركتمو أنطونيو　　سَ وَحدَه يلقى العِدا
من أجلكم سلّ الحُسا　　مَ والى الحرب مشى
ما كان ضرّكم لو الـ　　ـتففتمو على اللِّوا؟
أبعد أن حلّ على النيـ　　ـل وواديه القضا
ولم يجد من شيبِهِ　　ولا شبابِهِ فِدا
أتيتَ تدعونى كما　　تدعو العجائزُ السما
الرأيُ ليس نافعًا　　إذا أوانُهُ مضى

« يدخل جندى من حرس الملكة »

الجندي: مولاى، ذاتُ الجلالة

أنوبيس: المَلِكةُ الآن عندى؟

« تدخل كيلوباترا فى حاشيتها »

كيلوباترا: تحيةً يا أبتِ.

سيدتى فى حُجرتى

مُرِى بما شئتِ يَكنْ وإن تحـــدّى قُدْرتى

كليوباترا :

أبى أعلمتَ أن الجيشَ ولّى وآنَ بوارجى أبتِ المُضِيّا

أنوبيس

علمتُ وكان ذلك فى حسابى وذا حالى به أفضى إليّــا

كليوباترا :

وهل نَبّــاكَ عن أنطونيوسٍ وكيف جرتْ هزيمتُه عليا

وما أدرى أأردوه قتيــلا صباحَ اليوم أو أخذوه حيّا ؟

أبى ذهب الحليفُ فكُنْ حليفى فقد أصبحت لا أجدُ الوَليّا

أبى خفتُ الحوادثَ

أنوبيس : لا تُراعى لَباةَ النيل ليس تخافُ شيّا

كليوباترا :

أبى لا العزلَ خفتُ ولا المنايا ولكنْ أن يَسيروا بى سَبيّا

أيوطأُ بالمناسِمِ تاجُ مصرٍ وتَمّتْ شعرةٌ فى مَفرِقيّا ؟

أنوبيس : « باستخفاف »

لتأتِ المقـــاديرُ أو فلتذَرْ تعالىْ كليوباترا ألقى النظرْ

كيلوباترا :

أقاعٍ ؟ أبى ، نحِّها ، أخفِها ؟ أعوذُ بأيزيسَ من كلّ شرْ
فماذا تريدُ بإحرازهن وهل يقتنِى عاقلٌ ما يضر؟

أنوبيس :

أتيتُ بهن لدرس السُّمو م ولم أُخْلُ فى علمِها من نظر
أداوى بهسا أو بترياقها محبَّ الحياة أو المنتحِر

كيلوباترا : « كأنما تحدث نفسها »

محبِ الحياة أو المنتحِر !
كفى أيها الشيخُ ! بل هات زِدْ فما بىَ خوفٌ ولا بِى خوَرْ
وإن تكُ بى خشيةٌ فى النسا ء فلى جرْأةُ الملكات الكُبر
تكلَّمْ فليست سمومُ الأرا قم فى الخُبثِ دون سُموم البشر
فيارُبَّ صفوٍ سقَيْتُ الرجا لَ فلما تَرَوَّوْا سقَوْنى الكدر

أنوبيس :

قِصارٌ وهُن سهامُ المَنو ن وليس يَعيب السهامَ القِصرْ
تمَسُّ الفريسةَ مسّ السنا ن وتمضى مَضاءَ الحسام الذَّكَرْ
وكلُّ الذى لمستْ مقتَلٌ ولو أنشبت نابَها فى ظُفُرْ
إذا جرَحتْ لم تَمُجْ عن دمٍ كذلك يجرحُ سهمُ القدر

وماتُهــا لا يُحِسُّ المنو نَ كمَن مات في النوم لا يُحتَضر

كيلوباترا : « مرددة قوله في صوت خافت »

وماتُهــا لا يُحِسُّ المنو ن كمن مات في النوم لا يُحتضر !

ولكن أبي هل يُصانُ الجمال ؟

أنوبيس : نعم لا يَحولُ ولا يَنــدثر

كيلوباترا :

وهل يَطفَأُ اللون ؟

أنوبيس لا بل يُضيء كما رفَّ بعد القِطاف الزَّهَر

كيلوباترا

وهل يُبطِلُ الموتُ سِحرَ الجُفو ن ويُبلِي الفُتورَ ويُفنِي الحَوَرْ ؟

أنوبيس :

كعهد العيون بطَيْف الكرى إذا الجفنُ ناء به فانكسر

كيلوباترا :

أبي ، والشفاهُ ؟

أنوبيس :

لواقى الذُّبو ل كما احتُضِر الأُقْحُوانُ النَّضِر

وما الموت أقسى عليهــا فما ولا قُبْـلةً من عِوادى الكِبر

كيلوباترا :

وما عَضّةُ الناب ؟

أنوبيس :

وَخزٌ أخفُّ ... وأهونُ من وَخَزات الابر

كيلوباترا :

وما شَبَحُ الموت ؟

أنوبيس :

ماذا أقولُ ؟

كيلوباترا : تُمَثّلُهُ لى كأنْ قد حَضَر

أنوبيس :

زعمتِ ابنتى الموتَ شخصاً يُحَسُّ ... وعَظَّمتِ من خَطْبه ما صَغُر

وما هو إلاَّ انطفاءُ الحيا ... ةِ وعَصْفُ الردَى بسراج العُمُر

وليس له صُورةٌ فى العيو ... ن على قُبْح صُورته فى الفِكَر

إذا جاء كان بَغيضَ الوجو ... ه، وإن جِيءَ كان حبيبَ الصُّوَر

كيلوباترا :

إذن هـذه الرُّقَطُ فى ذمتى ... فصُنْها وأحسِنْ عليها السهر

وأقسمْ لتَـأتِ إلىَّ بهن ولو أن دونى الظُّبا والسُّمرُ

أنو بيس :

يمينًا بأيزيسَ أحمِـلهن إليك ولو فى سِلال الخُضَر

إذا بات فى خطر تاجُ مِصـرَ سبقتُ إليك بهن الخطر

كيلوباترا :

أتجعـلُ لى يا أبى آيةً أميزُ الرسولَ بها إن حضر ؟

نو بيس :

هو التين أبعثُ حابى به وبالرُّقط بين غُضون الثمر

ابنتى ذلك محرا بى ادخليه للصَّلاة

واسكبى الدمعَ عسى أن يَقبلَ الدمعَ الإله

هو ذو المُلْكِ الذى يبقى ويفنى ما سواه

« خارج الهيكل — ثلاثة جنود رومانية »

الجندى الأول : تحيـا روما يحيا قيصرْ

الجندى الثانى : روما العُظمى أبدا تنصرْ .

الجندى الثالث : ما ذاك ؟ ما فوقَ الطريق ؟ ما أرى ؟

ميـلا رفيقىَّ معى لننظرا

الأول : هنـاك مقتولان ضَرَّجا الـثّرى

الثانى : نعم أرى ثَمَّ دما وخَنجرا
وهيكلَيْن مِن حياةٍ أقفرا

الثالث : جُبِتَارُ يا مُصرِّفَ الحروبِ بارِكْ لنا فى هذه الجيوبِ !
وابعثْ لنا بالذهب المحبوبِ

الأول : يا عَجَبَ الأقدار أنطونيوسُ ؟

الثانى : أنطونيو ! أجلْ وذا أوروس !
وأحسَبَ السيدَ مات بيدهْ . ثم حـذا العبدُ مثالَ سيِّده
لهفى على أنطونيو فى مرقدهْ

« يئن أنطونيو ثم يحرك رأسه ويتبين الجنود » .

أنطونيو :
ويحى أحىٌّ أنا جريحُ ؟ ماذا يُريدُ القضاء ماذا ؟
جنودُ أكتاف أدركونى يا ليتنى مِتُّ قبـل هذا

جندى :
لا بل جنودُك لكن خانوك حُبـًا لروما

آخر : وما نَسُوك عليهم تحت اللواء زعيما

ترمى بهم مَطلَعَ الشمس أو تَؤُمُّ النجوما

أنطونيو :

يا حسودي وصحابى ليس ذا وقتَ العتابِ

اتركونى وعذابى

« يغمى عليه »

جندى :

لَهفى عليه عاده الإغماء وأوشكتْ تَنزِفُه الدماء

وليس إسعافٌ وليس ماء

آخر : هَلُمّا احملاه هَلُمّا احمِلا وجيئا بمولا كما الهيكلا

وأَمضى فأُبلِغُ أكتافيو الـحديثَ أُعرِّفُه المنزلا

« فى حجرة الكاهن — كيلوباترا والكاهن والحاشية عائدين من المحراب »

كيلوباترا :

أَبِى دخلتُ ونفسى حَيْرَى الزِّمامِ حزينهْ

وقد تركتُ المُصَلَّى وملْءُ قلبى سكينه

إن الصَّلاةَ على شد ة الزمان مُعينه

« يسمع صوت الجند من الخارج »

كيلوباترا

ما تسمعون أصيحوا شَرٌّ وهـذا بَريدُهْ

كان الضجيجُ بعيداً والآن يدنو بعيدُه

حابى :

أسمعتم ! ضجةٌ صاخبةٌ وجريحٌ وجنودٌ فى الطريق!

ها همو قد دخلوا الدار به

أنوبيس : دارُنا الشاطئُ لا يأبى الغريق

حابى :

ها همو قد حضروا

أنوبيس : يا مرحبًا أعدوًّا كان أم كان الصديق

« يدخل الجنديان اللذان يحملان أنطونيوس »

كليوباترا :

ويحَ عينى ماذا ترى ؟ ومن المحمو لُ كالسيف فى الأكفِّ خضيبا ؟

أيها الجنــدُ ما بأيديكم اليوم ؟

جندى : جريحٌ على الطريق أصيبا

كليوباترا :

أفتدرون مَن حَمَلتم ؟

جندى : حَمَلنا هيكلا عزَّ فى الرجال ضريبا

قد عرفناه خيرَ من هزَّ رُمحًا ونضا صارما ولاقى الحُروبا

« تتأمل كليوباترا فى وجه الجريح » .

آه أنطونيو حبيبي أدركوني بطبيب

كيلوباترا :

آه انطونيو ! حبيبي   أدركوني بطبيب
ما ترون الأرضَ تروَى   من دَم الليث الصَّبيب
أنت ، أين قوى طِبِّــك   والسحر العجيب
هو فى إغماءة الجُر   ح فنبِّهْــهُ بطيب
هو ذا يفتحُ عينيْــه   ويُصغِى لنحيبى

أنو بيس : « محاولا اسعاف الجريح »

تلك أنفاسُه توالَى وهذا   جسمهُ لا يزال غضًا رطيبا
هوذا قد تَخَلّجتْ شفتاه   وتهيّــا لسانُه ليثوبا
أيها الملكةُ ارفقى بجريح   بات تحت الرداء جُرحا صَبيبا
لا تناديه بالدموع مِرارا   ربما ضَرَّ جُرحَه أن يُجيبا

أنطونيو :

كيلوباترا ! عجبٌ ! أنتِ هنا !   لم تموتى .. هم إذنْ قد كَذَبونْ

كيلوباترا :

سيدى روحى حياتى قيصرى!   أنت حىٌّ ؟

أنطونيو :   بعد حينٍ لا أكونْ

كيلوباترا :

من نَعانى كَذبا ! من قالها لك !

أنطونيو :

مَرّ فاستوقفتهُ أسأله أو لمبوسُ النذلُ الخَؤون

قال ماتت فتجرّعتُ المَنون

كيلوباترا زوّديني قُبــلةً من ثناياكِ العذابِ الشّبِماتْ

وأضيئي بسَناها مُقبــلةً يُسْدِلُ الموتُ عليها الظُلُماتْ

سيقولُ الناسُ عنى فى غد منا وليّ الرحمةَ وأهل الشّمات

بَطلٌ لم تَظفرِ الحربُ به فى الهوى تحت لواء الحب مات

« يسلم الروح »

كيلوباترا :

قد تَداعى مِحْوَرُ الأر ض وميزانُ الشعوب

مال كالشمس جمالاً وجلالا فى الغروب

أيهــا المجروحُ لو تد رى جُروحى وذُنوبى

أيها الذاهبُ قــد آ ن عن الدنيــا ذُهوبى

أيهــا الخالصُ وُداً ليس وُدّى بالمَشوب

أيها الصادِقُ وعــداً ليس وعدى بالكذوب

عنْ قريب ينطوى القبـــرُ علينا . عن قريب
كلِّلوه بالريا حين وبالغار الرطيب
واهتفوا فى أذنيـه بأناشيد الحـروب

واحبيباه ، جاءه الموت فاستسـلم لا يستطيع إلاّ ذهوبا
كان ما خِفتُ أن يكون وحلّتْ نكبة لم تفاجىء المنكوبا

« تستوى قائمة »

أيها الجندُ مات قيصرُ فابكوا معىَ السيدَ الجسورَ الوَهوبا
شبِّكوا ساعديْه من فوق صدر كان فى الرَّوْع بالمنايا رحيباً
واعرِضوا سيفَه على راحتيْه واركزوا الرمحَ منْ يديْه قريبا
لا بل امضوا لشأنكم جُندَ روما ودَعونى وسيفَ روما السَّليبا
أنا وحدي له ديارٌ وأهلٌ إن دعا دارَه ونادى النَّسيبا

« ينسحب الجنود »

ويحَ لى قد طلبتُ عند طِباع النا س ما عزَّ عندهم مطلوبا
خَلَق الناسُ للقوىِّ المزايا وتجنَّوْا على الضعيف الذنوبا
حتفوا فى الحياة والموت بالغا لب فانظرْ هل عظَّموا مغلوبا
شيَّعوا الشاةَ جيفةً بِعُداهم واتَّقوا وهو فى الرِّمام الذِّيبا

أنوبيس :

الوقارَ الوقارَ يا لَبْأةَ النيـــــل ولا تجملى الزّئيرَ النحيبا
وقفِي للخُطوب فى عِزّة المُلْـــــك وفى كِبْره تَذِلِيّ الخطوبا

« يدخل جندى من جنود اكتافيوس »

الجندى :

قيصر أكتافيوسُ آتٍ يعودُ أنطونيوسَ قيصرْ

كليوباترا :

قيصر ! فر الأسـير منه مَن فى حمى الموت ليس يُؤسر

« يدخل اكتافيوس ومعه جنود »

اكتافيوس :

سلامٌ مَلْكةَ الوادى سلامُ كاهنَ المُلْكِ
يقولُ الناسُ أنطونيو هنا لم يَبتعِدْ عنك

كليوباترا :

نعم لم نَفترقْ بعـد وإن أمعن فى تَركى
وهـذا الجسد الفانى جَلاء الرَّيب والشك

اكتافيوس :

إذن قد قُضِىَ الأمـــرُ وصار الليثُ للهُلْك
كلوباترةُ لا تَخشَىْ فلن آخـذه مِنك !

كيلوباترا :

أبِى تَهـزأْ أم بالمَيْـــتِ أم بالموقفِ الضَّنك
إن اسطَعتَ على ما لك من بَطش ومن فَتك
وما حَوْلك من خيل وما تحتك من فُلْك
فخُذْه من يد المو ت ومن عاجزةٍ تبكى !

« يدنو جندى من جنود اكتافيوس ليتحقق موت أنطونيوس »

كيلوباترا :

مكانَك يا عبدُ لا تَهتِكنَ على سيد الهالكين القِناعْ
تُريد لتَكشِفَ عنه الغِطا ء عسى تحته حيلةٌ أو خداع
عَبَثتَ به وهو تحت الطِّيا لِس مُلقَى السلاح قليلَ الدفاع
ولم تَحتشِمْ بُقَعًا من دم عليهن تَحسُدُ مصرَ البِقاع
رُويدَك ، ما الموتُ مُستبـعَدٌ ولا هو مستغرَبٌ من شجاع
وإن التماوتَ فعلُ الثعا لب ليس التماوتُ فعلَ السباع

اكتافيو :

أناتَك سـيدتى إنه فتى طاهرُ القلب حرُّ الطباعِ
أراد ليحتاطَ لى جُهدَه ويُخلصَ فى خدمتى ما استطاع
تَنحَّ أخا الجند ما أنت والميـنبتَ الأيقرَبُ الشمسَ إلّا شُعاع!
أتأذَنُ سيدتى أنْ أُطيـفَ بخِدنِ الصِّدام رفيقِ الصِّراع؟
ومن كنتُ تحت القنا ظِلَّه ومن كان ظِلّىَ تحت الشِّراع
وكنا نَشيد لروما الفَخا رَ ونَجنى لها الغارَ من كل قاع
ونأتى القِلاعَ فنحتلها وإن بعُدتْ كالنجوم القلاع
ونَركزُ فى السهل أرْماحَ روما ونُطلِعُ أعلامَها فى اليَفاع؟
بإذنك ؟ .

كليوباترا :

قيصرُ لا إذنَ لى . أينهى ويأمر من لا يطاعْ ؟
تصرَّفْ بجُثمانه كيف شئـتَ فليس له اليومَ ملكُ امتناع
وما جُثَّةُ الليث . إلاّ لُقًى إذا النابُ طاحت أو الظُّفرُ ضاع؟

« يتقدم اكتافيوس فيرفع القناع عن وجه أنطونيو »

اكتافيوس :

لقد حسَم الموتُ ما بيننا   وغَضَّ اللَّجاجَ وفَضّ النزاع
فمن حَقّ اليومَ بل واجبٌ   على أُقدِسُهُ أن يُضاع
أُقبِّلُ ما قبَّل الغارُ منــك   وأهتفُ أنطونيوسُ الوَداع

« ستار » .

الفصل الرابع

« فى القصر الملكى ، فى غرفة العرش ، شرفة مطلة على البحر . كيلوباترة متكئة على حافة الشرفة ، شرميون وهيلانه فى أقصى الحجرة تنهمر من عينيهما الدموع »

كيلوباترة : « كأنما تناجى نفسها »

نام « مرْكُو » ولم أنَمْ　　وتفــــرّدتُ بالألمْ

ليت جُرْحى كجُرحه　　لَقِىَ الموتَ فالتـأم

قاتلَ اللهُ ماضيـاً　　قتـل المُفرَدَ العَلَم

أنطوانُ انفُضِ الكرى　　ساعةً وانقُلِ القَـدم

قم كأسٍ أغنمِ الهوى　　واشربِ الراحَ بالنَّغم

وتَخَــيَّرْ على المُنَى　　وتمتَّعْ من النِّعم

واغمرِ الأرضَ بالقنـا　　وتَغلَّبْ على الأمم

وقُدِ الخيـلَ فى الوِها　　د ووثباً إلى القِمَم

أيهـا العينُ أبصرى　　إنما كنتِ فى حُلُم !

يا شرميون بلغنا موقِفاً حَرَجا　　لا الرأىُ ينفعنا فيه ولا الباسُ

لم يبقَ ثقبُ رجاء كنت ألمحُه　　إلاّ تعرّضَ حتى سدّه الياسُ

« تلقى نظرة على الإسكندرية من الشرفة »

نجمى يُحدِّثنى بوشـك أفوله إسكندرية : هل أقولُ وَداعا ؟
وَشَيْتُ برَكِ جدولاً وخَميلةً وكسوْتُ بَحرَك عُدَّةً وشِراعا
وأنا اللَّبـاة وقد ملأتُك غابةً وأنا المَهـاةُ وقد ملأتُك قاعا
قد خِفتُ من بعدى عليكِ ممالكاً يُطلِقْن فيك الفاتحـين سِباعا
يَأتين زرعَك بالرّياح عواصفاً ويَجئْنَ ضرعَك بالذئاب جياعا
فاذا الحضارةُ بعد طول بنائها قد دُكَّ ركنُ بِنائها وتداعى

شرميون :

بإيزيسَ سـيدتى بالوَلا ء بطول التعاشر والمُصطحَبْ
بمـالى ببابك من خدمة ومن صُحبةٍ تُشبِهان النَّسب
على أى وجـهٍ أدَرْتِ المصيـر وقلَّبتِ رأيك فى المُنقلَب ؟
فهـذا السكونُ يُثيرُ الشكو كَ وهـذا الهدوء يثيرُ الرِّيَب
وماذا اعتزمتِ ؟ وماذا كتمـتِ ؟ أبينى فما بيننا من حُجُب
ولى فى حيـاتك رأىٌ يُسا قُ وليس علىَّ إذا لم يُصِب

كيلوباترة :

إذن فاذكرى أن خصمى العتيـد يخافُ انتحارى ويخشى الهرب
وليس الذى يَشتهى لى الحيا ةَ ولكن له فى حيـاتى أرَب

له فى غـدٍ مَوْكِبُ الفاتحيـــن إذا أقبلوا فى جلال الغَلَب
يجرُّون فى رومةَ الأرجوا نَ وقد بَرَزتْ فى الثياب القُشُب
وتزدانُ بالغـار هاماتُهم إذا ارتفعت فى الخميس اللَّجِب
يُحاولُ قيصرُ منى المُحـا لَ ويذهب فى غير وجه الطلب
يُريدُ ليَعرِضَنى فى غـــد على شعب روما كأنى سَلَب
ويفضحُ مصر وسلطانَهـا وتاجَ العصور وعرشَ الحِقَب
لقد ساء تدبيرُ اكتافيو سَ ولم يَلقَ من خُدعتى ما أحب!

« تسمع وطء أقدام »

ماذا وراء الباب ؟

شرميون :

حسٌّ قادمِ

هيلانه : أجلْ دبيبُ حارس أو خادمِ

كيلوباترا :

بل حارسٌ جافٍ من حَرَس القصرِ
مُعربِدُ الخَـطو من نشوة النصرِ
لا تَسعُ الأرض رِجليْهِ من كِبْرِ

شرميون :

مَلِكتى دعى هذه الفِكَرْ
جنـدُ رُومةٍ يَمْبُدُ البِدَرْ
في سبيلها يركبُ الغَرَرْ

كيلوباترا :

شرميون صَهْ إنه حضَر

« يدخل حارس »

الملكة : ماذا وراء الجندى ؟

الحارس : رسالة من عبد
هل تأذنين ؟

الملكة : أذنِ

الحارس : أيها المَلْكَةُ قد جا ء إلى القصر غلامْ
في ثياب الحقل حُلوُ الـ شكل ممشوقُ القوام
جادل الحُرَّاسَ في حِذق وروق بالكلام
يَدَّعى أن أباه كان عبداً للمَقام
ناله بستانُ تينٍ من أياديك الجِسام

فهو يُهدى لك باكو رتَه فى كل عام

الملكة : « هامسة »

شرميونُ ذاك حابى وجَناه فى يمينهْ

جاء فى الميقات يُهدى لىَ باكورةَ تينه

« الحارس »

ألا تَقْبَـلُ يا جا رس منى هذه البَذْره ؟

الحارس : بشكرانٍ وهبها ت على الشكران لى قُدْره

الملكة : والآن لو تُحْضِرُ لى الفلاحا لعله يُحدث لى انشراحا

إنى نسيت البَسطَ والمَزاحا

الحارس : علىّ السمع والطاعه سآتيك به الساعه

« يخرج الحارس »

الملكة : يا شرميونُ تعلّمى الدنيا وبا هيلانةُ اختبرى الزمانَ القاسى

إن التى حُرِستْ بأبطال الوغى باتت تُصانِعُ سِفْلَةَ الحراس

« يدخل حابى فى ثياب فلاح »
« ومعه الحارس »

هيلانة : « همسا »

حابى نعم وتلك نظرتهْ وهذه مِشْيَتُه وخَطرتهْ

يا ليت شعرى ما تكون سلّتُهْ ؟

حابى : تحيةٌ للمَلِكهْ ونعمةٌ وبَرَكهْ
ونفسُ عبدها لها وكلُّ ما قد ملكه
سيدتى جئت الى بحرك أُهدى سمكه
أحمِلُ تينا ولو استطعتُ حملت مملكه

حابى : سيدتى

الملكة : أُدنُ فانه ابتعدْ وقُلْ فما يسمعُ غيرَنا أحدْ

حابى : سيدتى

الملكة : حابى ، أنوبيسُ اجتَهدْ لنا وأنجز الغداة ما وعدْ!
يُريدُ أن يَشفِيَنى مما أجد وأن يَقِى مملكتى عارَ الأبد
جئتَ كما يأتى لوقته المَدد
وَفَيْتَ لى حابى ولم تكنْ تَفِى ضع السِّلالَ وانصرِفْ لا بل قِفِ
حتى ترى كيف يكونُ مَوقِفى

« تلقى نظرة على السلال »

ما لى مُلئتُ من المنيَّة رهبةً ؟ إن المنيةَ فى رِقاب الناسِ
آسى الجراح جَزِعتُ عند لقائه والنفسُ تَجزَعُ من لِقاء الآسى

إنى طويتُ بساطَ كل مُدامة ۰ لم يبقَ الا شربُ هذى الكاس
يا خادمىّ بل ابنتىّ تلطّفا فى البحث حتى تأتيـا بأياس
فعسى يُغنّينى نشيدَ الموت أو نغما أجود عليـه بالأنفاس

شرميون :

مَلْكتى نادى أياسا إنه بالقُربِ منـكِ
هو فى المقصورة الأخـــرى مع الباكين يبكى
فكرُه فيكِ ولا يجســرُ أن يَسألَ عنك

الملكة :

يا وَيحَ صَحبىَ بعد طول سرورهم قعدوا إلى أحزانهم يبكونا
جيئى بهم يا شرميونُ لينظروا جَلَدى فيهدأ بعضُ ما يجدونا

« تخرج شرميون »

كيلوباترا — « تنحنى على زنبقة فى أصيص »

زَنبقـةٌ فى الآنيـهْ ضحيـــةُ الأنانيهْ
جَنَتْ عليها غُرْبَةَ الأسر الأكُفُّ الجانيـهْ
وبُدِّلتْ من سَعة الـــرَّبْوَة ضيقَ الباطيه
يَسقونها من جَرَّة بعد العيون الجاريه

يا جارتا شأنك لا يُشْبِهُ الا شانيه

لم يبق من مُلكي العريـض غيرُ دار خاويه

وكلنا ذابلةٌ عما قليل ذاويه

زال النعيم وفرغنا من حياة فانيه

« ترجع شرميون ومعها أياس وأنشو وغيرهم »

الملكة : « الى أنشو »

أنشو يَعزُّ على أنك ساهمٌ يبدو عليك الهمُّ والتفكيرُ

أنشو ألا قولٌ يَسُرُّ وضِحْكةٌ إن السعيدَ الضاحكُ المسرورُ

قد كان أيسرُ ماصنعت يسرني أعلى سروري اليوم أنت قدير ؟

أنشو : سيدى جرى بما فيه سرورُك القدرْ

من لا تَسرُّه السما لا يسره البشر

الملكة : أياسُ هل من صوتٍ ؟ غَنِّ نشيدَ الموتِ

« أياس يغنى هذا النشيد »

يا طيبَ وادى العدَمْ من منزلِ

لم تَمشِ فيه قدمْ للعُزَّلِ وادٍ خَلِ

أنا فيه لحبيبى وحبيبى فيه لى

يا موتُ مِلْ بالشِّراعْ واحمِلْ جَريحَ الحياهْ
سِرْ بالقلوعِ السِّراعْ إلى شُطوط النجاه

٠٠٠

شِراعُك الفِضّى فى لُجّه التّبرِ
كالحُلْمِ فى الغَمضِ يجرى ولا يجرى

٠٠٠

فى ظل ليل ساجْ أقسم لا يَسرى
مُغلَّلِ الديباجْ مُطيَّبِ السّتر

٠٠٠

فى يقظةٍ يَظهرْ لى أم أرى حُلُمًا
فُلْكٌ من الجوهر يَخترِقُ الظُّلما

٠٠٠

على الدجى لَمّاحْ تَحسَبُهُ نجما
ليس به ملّاح يسلُكه اليَمّا

٠٠٠

أضْوَى من الفجر فى ظُلمة الأسداف
من نفسه يجرى لم يُجْرِه مِجذاف

٠٠٠

مَدّ شراعَ النورْ · يا حُسنَ ما مدا
كاللؤلؤ المنثور لو يَنفحُ النَّدا

. . .

يا لكَ من زوْرقْ مَلاّحُه الأقدارْ
ينجو به المُغرَقْ من لُجّةِ الأكدار

« يدخل الحارس »

الملكة : ما وراء الحارس ؟

الحارس : الطا عة يا ذاتَ الجلاله
قائد يحمِلُ من قيصرَ أكتافو رساله

الملكة : أدخله ، أدخِلْ رسولَ قيصرْ

« يخرج الحارس ويدخل القائد »

القائد : قيصرُ العالى الى سيدتى يُهدى التحيهْ
هو فى التَّكنة بالقر ب من الدار السنيه
يُظهِرُ العَطفَ عليها وهى بالعَطف حَرِيَّه
ويقولُ الأمرُ ما تأ مُرُ فى الاسكندريه
ولها الوادى وما يحمِلُ مُلْكا ورعيّه

وبنوها يَرِثون المُلــــكَ من روما الوصيه

وإذا حَلّتْ بروما وجدت روما حَفيّه

تتلقّـاها كأغلى درة فى القيصريه

ما الذى تقترِحُ المَلِـــكةُ ما تُملِي عَليّـه

لِتقُـلْ سيدتى حا جتَها تُقْضَ العشِيّـه

كيلوباترا : « كأنما تناجى نفسها »

وإذا حلت بروما وجدت روما حفيه !

تتلقـــاها كأغلى درة فى القيصريه !

« تضحك فى تهكم وألم »

أيهـا القائدُ أدّيْـــتَ فأحسنتَ الأداءْ

بَلِّغنْ قيصرَ عنى كلَّ شكر ودُعاء

ثم زِدْ أمنيــةً قد بَقِيَتْ لى ورجاء

أنا لا أكتمُه ما سَرَّ من أمرى وساء

ولِىَ سرٌّ كاد عن نفـــسِىَ يَزويه الخَفاء

صُنتُه عن صاحباتى وصِحـابى الأُمناء

حبذا لو زارنى قيصرُ فى هذا المَساء

وله الشكرُ اذا لم يأتِ أو إن هو جاء

القائد :

سأذكرُ مولاتى لمولاىَ قيصرٍ وأنقلُ ما أبديتِ من رَغَبات

ولِمْ لا يُلبّى دعوةَ الحسن طائعاً ويسعى له مُستعجِلَ الخطُوات ؟

وقد كان يوليوسُ يقومُ ببابه ويَمْثُلُ أنطونيوسُ فى العتَبات !

كيلوباترا : «بعظمة»

أساتَ أخا الرومان فهم إشارتى

القائد : إذن فَهبِى لى تلك من هفَواتى

« يخرج القائد »

كيلوباترا :

أرانىَ لم يُحسِنْ الىَّ مُعاصرى ولم أَجدِ الانصافَ عند لِداتى

فكيف إذا ما غيبَ الموتُ ذَاتى وَبدَّد أنصارى وفَضَّ حُماتى !

كأنىَ بعدى بالأحاديث سُلّطت على سيرتى أو وُكِّلتْ بحياتى

وبالجيل بعد الجيل يَروى زخارفاً فمن زور أخبار وإفك رُواة

يقولون أنى أفنت العمرَ بالهوى بهيميَّةُ اللذات والشهوات

فِدًا لغرامى بالرجال وحُسنِهم ... غرامُ الغوانى أو هوى المَلِكات
فليس الغلامُ البارعُ الحسنِ فتنتى ... ولا الرائعُ الأجلاد والعضُلات
ولم يَستثِرْ وَجدى من الروم فتيةٌ ... جُنونُ العذارى فتنةُ الخَفِرات
ولا كلُّ غصن من بنى مصرَ مائلٍ ... يَطيرُ اليـه قلبُ كل فتاة
يموتون بى عشقًا ويَشقون بالهوى ... فكم من حياة فى يدى وممات
ولـكن عشقتُ العبقريَّةَ طِفلةً ... وفى الغافلات البُلْهِ من سنواتى
كلفتُ بكهل أحرز الأرضَ سيفُه ... وحِيزتْ له الدنيا من الجنَبات
إذا هب من غرب البلاد تلفَّتتْ ... بلادٌ بأقصى الشرق مذعرات
تعثَّرَ حظى بعد طول سلامة ... وأقلع نجمى بعـد طول ثبات
ومن يَمش فى وَردِ الأمور وشوْكها ... يَعدَّ الخطا أو يَحسِبِ العثرات

« تنظر الى السلال »

يا مرحبا، بالسَّلَّهْ والرُّقْبِ المُطِلَّهْ
الـكافياتِ الذلَّهْ

« ينسحب الجميع مطرقين ما عدا الملـكة ووصيفتيها وحابى »

كلوباترا :

أُدخلى بى يا شرميون على طِفْ ... لِى أُودِّعْهم الوَداع الرهيبا

فساهم اذا تحجّب صدرى ... وجدوا صدرَك الحَفيَّ الرحيبا .

« لحابى وميلانه »

ولدىَّ أهجرا القصورَ فانى ... قد وجدتُ النعيمَ فيها غريبا
ولها ضجةٌ وفيها فضولٌ ... يُرهِقُ الحبَّ واشيا ورقيبا
خلّيا عنكما المدائنَ يا ابنىّ ... فضوضاؤها تُميت القلوبا
إن لى فى سهول طيبةَ حقلاً ... طيبَ الماء والهواء خصيبا
غَرستْه يد الشباب فأضحى ... وارفا كالشباب حُسناً وطيبا
ألفَ الحبُّ من نواحيه أيكا ... جمع الطيرَ هاتفا ومُجيبا
يُسمعُ البُلْبُلُ العشيقةَ فيه ... وتُغنِّى الأليفةُ العَنْدليبا
افُقٌ لا يُظِلُّ إلا مُحِبّاً ... وثرى لا يُقِلُّ إلا حبيبا
إشربا من كرومه واسقياها ... صافىَ الحب والهوى المسكوبا
والعبا عند كلِّ ماءٍ غديرٍ ... رَيا الماء للحَبابِ لعيبا
وسلا الوردَ هل تَنفَّسَ فى الور ... د وهل ناسم البعيدُ القريبا
أدرِكا لذةَ الشروق ولمّا ... تبلغِ الشمسُ بالحياة الغروبا

« تخرج كيلوباترا وشرميون » .

حابى :

هيلانُ هذا مقالُ النصح من مَلكٍ   فما تَرِيْنَ وما تَنوِينَ هيلانا
هلمّ طِيبــةَ ننزلْ فى خمائلها   ونبْنِ مِثلَ بنــاء الطير دُنيانا
كطائرَيْن على بحرٍ وعاصفةٍ   قد آنسا من وراء الشّطِّ بستانا
تداركتْنا أبرُّ المالكات بهِ   وأشرفُ الناس إحساسًا ووِجدانا

هيلانه :

حابى عرفتَ الخِلال الطيّبات لها   وكنتَ أمس أقلَّ الناس عِرفانا

حابى :

خلِّ الجفاء حياتى إن ساعتَه   مضتْ وهذا أوانُ السِّلم قد آنا
اللهُ يشهدُ أنى قد سدلتُ على   ما كان من نَزَعات الرأى نسيانا
وأننى اليوم أبكيها وأندُبُها   ولا أقيسُ بها فى الطهر إنسانا
اليوم ضحّتْ ورَكّاها الفِداء كما   زكّى المُقرِّبُ باسم الله قُربانا

هيلانه :

إن التى شب فى نُعمائها صِغَرى   ونبّهتْ لىَ فى سُلطانها شانا
إن لم أمُتْ دونها أو لم أمت معها   فما جَزَيْتُ عن الإحسان إحسانا

حابى :

والحبُ هيلانَ؟ ماذا تصنعين به

هيلانه : إن الصداقة فوق الحب أحيانا

حابى أراها أزمعتْ وأرى الفجيعةَ واقعه
فأذهبْ فجِئ بأنوسٍ فعسى يرُدُّ الفاجعه

حابى : وســـواء أردّها أم أبى ذلك القــدر
فى غـدٍ أيهـا المَلِـ كُ الى طيبةَ السفر

« يخرج حابى »

هيلانة : ويح حابى اعتقادُهُ أنــ سأحيا فنلتقى
ليتنى نِلْتُ قُبــلةً منه قبــــل التفرُّق

« تدخل كيلوباترا وفى أثرها شرميون »

كيلوباترا :

بروحى وإن لم تَبقَ منى بقيةٌ صغارٌ ورائى ذُوَّقُ اليُتمِ نُوَّحُ
أذوبُ لبلواهم وأعلمُ أننى حَمَلتُ عليهم ما يَجِلُّ ويفدَحُ
وقد أشتهى عيشَ الذليل لأجلهم فلا المجدُ يَرضى لى ولا النُبلُ يَسمَحُ
فصفحاً صغارى إن شَقِيتُم بمصرعى وإنى لأرجو أن تَغضّوا وتصفحوا

وَداعا صغارى صَيَّرَ الله يُتمكم ... إلى خير ما يَكفى اليتامى و يُصلِح
أطفتُ بكم والنومُ تَسرِى سِناتُه ... على صفحات كالأهِلَّة تَلمَحُ
وما منكمو فى الحزنِ إلاّ حمامةٌ ... عليها ظليلٌ ناعمَ الفَرْعِ أفيَح
تنامُ وما تدرى الكرى ما وراءه ... ولا الصبحُ فى ظلِّ الرُّبا كيف يُصبح
أتغدو على الدنيا كأمسِ طليقةً ... ضُحى اليوم أم يُغدَى عليها فتُذبَح ؟

فيم هيلانةُ تبكيـ ... ـن وأنتْ شرميونْ
كفكفا الدمعَ فلا ... شدةَ إلاّ وتهون
واعلما بنتىَّ أن البؤ ... سَ والنُّعمى دُيون

« تركع أمام تمثال إيزيس ».

اليومَ أقصرَ باطلى وضلالى ... وخلتْ كأحلامِ الكرى آمالى
وصحوتُ من لَعِب الحياةِ ولهوها ... فوجدتُ للدنيا خُمارَ زوال
وتلفّتتْ عينى فلا بموا كبى ... بصُرتْ ولا بكتائبى ورجالى
وطِئتْ بساطىَ الحادثاتُ وأهرقتْ ... كأسى وفضَّتْ سامرى و نِقالى
إيزيسُ ينبوعَ الحنان تعطّفى ... وتلفّتي لضراعتى وسؤالى
أنت التى بكتَ الأحبّةَ واشتكت ... قبل الأرامل لوعةَ الإزمال
إنى وقفتُ على رحابِك فارحمى ... ذلّ الملوكِ لمجدكِ المتعالى

هل تأذنين بأن أُعجّل نُقْلتي وأَحُثّ عن دار الشقاء رِحالى

وعُلاكِ ما أدعُ الحيــاةَ جبانةً أو ضِيقَ ذَرْعٍ أو قطيعةَ قال

إنى انتفعتُ بعبقريِّ جمالهـــا وتمتعتُ من عبقريِّ جمالى

وجمعتُ بين شعورها وعواطفى وقَرَنتُ رَحْبَ خيالها بخيـــالى

ووجدتُها قد خلّدتْ أبطالَها فبسطْتُ سلطانى على الأبطال

بنتُ الحيـــاة أنا وتشهدُ سِيرتى ما كنتُ من أمى سوى تِمثال

منهـــا تناولتُ الرِّياء وِراثةً وأخذتُ كلَّ خديعة ومِحال

وقسوتُ قسوتَها ولِنتُ كلِينها واقتستُ فى صَدّى بها ووِصالى

ولربما رَشَدتْ فسِرتُ برُشدها وغَوَتْ فأغوتني وضل ضلالى

ووجدتُهـــا حباً يَفيضُ ولذةً فجعلتُ لَذّاتِ الهوى أشغالى

يومى بأيامٍ لكثرة ما مشت فيـــه الحيـــاة وليلتى بليالى

ولقد لَقِيت من الحياة صَبيّةً ما جل من بؤس ورقة حال

فخلعتُ مُلكى طفلةً وشردتُ فى صدر الصبا ورأى المـكارهَ آلى

شَرعتْ على السوطَ فى كُتّابها واليومَ تَضربُنى بدرس غال

يا موتُ هل حَرَجٌ على مُستنجِد بك أن يُسابقَ واقعَ الآجالِ؟

يومى أعجّله ولو لم أنتحرْ للميتُ يوماً ما له من تال
ياموتُ أنت أحبُّ أسراً فاسبنى لا تُعطِ روما والشيوخَ عِقالى
ياموتُ لا تُطفِئْ بشاشةَ هيكلى واحفظْ ظواهرَ لمحتى وجلالى
ياموتُ طُفْ بالروح واسرقْها كما سرق الكرى عينَ الخَلىّ السالى
حتى أموتَ كما حَيِيتُ كأننى بيتُ الخيال ودُميةُ المَثّال
وكأنّ إغماضَ الجفون تناعسٌ وكأنّ رقدتىَ اضطجاعُ دلال
يسرْ بى الى أنطونيو فى نَضرتى ورُواء جلبابى وزينة حالى

« تقوم الى احدى السلال فتكشف التين عن أفعى »

هَلُمّى الآن مُنقِذتى هَلمّى وأهلاً بالخلاص وقد سعى لى
شَرَيتُ السمّ من فيكِ المُفدّى بسلطانى وزِدتُ عليه مالى
على نابيْك من زُرق المنايا شفاء النفس من سُودِ الليالى
وبعضُ السم تِرْياقٌ لبعض وقد يَشفى العُضَالُ من العُضال
دعوْتُ الراحةَ الكبرى فلبتْ فبُعداً للحياة وللنِّضال
هَلُمّى عانقى أفعى قصور بها شوقٌ الى أفعى التلال
سَطتْ روما على مُلكى ولَصّتْ جواهرَ أسرتى وحُلِىَّ آلى

فرُمتُ الموتَ لم أجُبنْ ولكن لعل جلالَه يحمِي جلالى
فلا تَمشِى على تاجى ولكن على جسدٍ ببطن الأرض بال
وقد علِم البريّةُ أن تاجى تمتْه الشمسُ والاسرُ العوالى
يُطالبُنى به وطنٌ عزيزٌ وآباءٌ ودائعُهم غوالى
أأدخلُ فى ثياب الذل روما وأُعرَضُ كالسَّبِيِّ على الرجال؟
وأُحدَج بالشماتة عن يمينى ويَعرِض لى التهكُّمُ عن شمالى؟
وألقَى فى النَّدِيِّ شيوخَ روما مكانُ التاج من فرْقَى خالى ؟
وأغشى السجنَ تاركةً ورائى قصورَ العز والغُرَفَ الحوالى ؟
وتَحكُمُ فى روما وهى خَصمى وتُسرفُ فى العقوبة والنَّكال؟
يَرانى فى الحبائل مُترَفوها وقد كان القياصرُ فى حِبالى
إذن غيرُ الملوكِ أبى وجَدّى وغيرُ طِرازهم عَمّى وخالى !
سأنزلُ غيرَ هائبةٍ إذا ما تلمظّت المنيّةُ للنزال
أموتُ كما حَيِيتُ لعرش مصر وأبذُلُ دُونه عرشَ الجمال
حيـاةُ الذلِّ تُدفَعُ بالمنايا تَعالىْ حَيّةَ الوادى تعالى

« تتناول الافعى وتمهد لها من صدرها فتلدغها ثم ترميها الى السلة »

يا ابنتي وُدّي ... هَلُمّا ... زيّنـــاني . . . للمنيهْ
غلّلاني ... طَيّبـاني ... بالأفاويهِ . . . الزكيه
ألبساني حُـلّةً ... تُعْـجِبُ أنطونيو . . . سنيه
من ثيابٍ . . . كنتُ فيها أتلقـــاه . . . صبيـه
ناولاني التاج ... تاجَ الـشمس . . . في مُلْكِ ... البريه
وانثرا ... بين ... يديْ ... عر شي ... الريا ... حين البهيه

« تموت بين وصيفتيها »

شرميون : « تتناول من احدى السلال أفعى »

كلوباترا ويا لهفى عليكِ يا كلوباترا
وَصيفاتُك في الدنيا وَصيفاتُك في الأخرى

« وتمد لها من صدرها فتلدغها وتموت »

هيلانه : « تفعل ما فعلته شرميون »

كلوباترا ذهبتِ اليو مَ بالدنيا كلوباترا
تعاليْ أيها الأفعىْ أريحيني أنا الأخرى

« يدخل أنوبيس وحابي »

أنوبيس :

انسلتِ المُهرَةُ مِن قَيْدها وأفلت الطيرُ من الصائدِ !

حابى :

هيلانَ يا لهفا على الحبيبهْ على الجمـال وعلى الشبيبهْ

على الفتاة الحُرَّة النجيبهْ

« يتحسس جسمها »

يا لَلحياةِ ماتنى دبيبا ! أبى . . . تأمّلْ جسمَها الرطيبا

واسمعْ تَجِـدْ لقلبها وجيبا

أنوبيس :

حابى نسيتَ حُقّةَ النجاة !

حابى : هيهاتِ أعصيك أبى هيهاتِ !

إن أنسَ أشياءك أنسَ ذاتى !

« يخرج الحقة من جيبه »

خُـذْها .

أنوبيس ؟

بل اسكبْ فى فم الفتاةِ لعلهـا تصحو من السُّباتِ

« يشتغل حابى بإيقاظ هيلانه »

أنوبيس : « على جثة كيلوباترا »

حقى رجوتُك للضحية والفِـدا فوجدتُ عندك فوقَ ما أنا راجى

جئتي رجوتك للضحية والفدا   فوجدت عندك فوق ما أنا راجي

إن تُصبحى جسداً فنفسُك حرةٌ   وعُلاك سالمةٌ وعِرضُك ناجي
سيقولُ بعدكَ كلُّ جيلٍ مُنصِف   ذهبتْ ولكن فى سبيل التاج
وأنتِ أيضًا . شرميونُ جيفهْ   مُتِ ولكنْ مِيتةً شريفهْ
ما أعظمَ المَلْكةَ والوصيفهْ !

حابى : أُدنُ أبى ألقِ النظرْ   يا لَعجائبِ القدرْ !

أنوبيس :   أحدث ترياقى الأثرْ ؟

حابى : أُنظرْ أبى تِرياقَك المحـ   ـسنَ ماذا منحا ؟
أنظرْ فهـذا مَلَكى   من رقدةِ الموتِ صحا
قد فتح العينين بعـ   ـد اليأس من أن تُفتَحا
وهــــذه أنفاسُه   رَيحانُها قــد نَفَحا
مولاى قد قرَّ   تَ من سعادتى ما نَزَحا
أنتَ الذى رَددتَها   رُوحًا وكانت شَبَحا
يا قلبُ كيف لم تَطِرْ   عن الضلوع فرحا

هيلانه : يا وبح لى . . . ويحَ لِيَهْ   هل صَدَقتنى عَينيهْ ؟
حابى . . . أفى الدنيا أنا ؟

حابى :   بل أنت دنياى هنا

هيلانه : منذا حنى عليـة حتى بُعثتُ حيّـة ؟

حابى : أبى الذى شفاكِ يا مَلاكى

أنوبيس : لا بل مَلاكُ الحب قد شفاكِ

وأدمُعُ الإخلاص من فتاكِ

هيلانة : أبى لقد مرّ علىّ الموتُ وكنتُ من عذابه نجوْتُ

علامَ حُلْتَ بينه وبينى ؟ . الموتُ لا يُذاقُ مرّتينِ

« ترى جثة الملكة وهى تتلفت »

رحماكِ آلهةَ الوادى ذهلتُ فلم أذكرْ مَلاكا وراء العرش مُضطجِعا

بالأمس، لا، لا. بل اليومَ التحقتُ به صُرعتُ بالناقع السارى كما صُرِعا

لقد رَحلنا عن الدنيا الغَرور معا مالى رَجعتُ إلى الدنيا وما رَجَعا

ليت الطبيبَ الذى داوَى فأخرجنى إلى الحياة على الدنيا به طَلَعا

مليكتى، ربتى، صفحًا ومغفرةً إن المرُوءةَ كانت أن نموت معا

الكاهن : بُنيّتى . .

هيلانه : صَهْ أبى ،

الكاهن : لا أنتِ واهمةٌ

فلستُما فى مُلاقاة الرّدَى شَرَعا

وقفتُما موقفًا فى الخَطْب مختلفًا لو جَرّبتْ فيه غيرَ الموت ما نفعا

حابى : تعالىْ نَحْىَ فى الحَقْلِ مع الطير كما تحيا

هَلُمِّى الحبَّ. هيلاَ نةُ فالحبُّ هو الدنيا

أبِى دونك بارِكْنا وإن شئتَ فشارِكْنا

أنوبيس: إذا فارقتُ محرابى فمن يبكى على مِصرا ؟

سأبقى ههنا ابْنَىَّ إلى أن أقضِىَ العُمرا

هَلُمّا ابنىَّ باسم الله سيرا وابنيا الوَكْرا

هلما جنةَ الوادى هلما طِيبةَ الغَرّا

لئن فرّقنا الدهرُ فقد تجمعُنا الذكرى

« يخرجان »

« يسمع صوت بوق »

أنوبيس : البوق دوّى . قيصرُ أقبلْ

« يدخل حارس »

الحارس : مولاى قيصر

« يتنحى عن الباب ويدخل قيصر وفى معيته الطبيب أولمبوس »

أنوبيس :

ربما يَبتغِي قيصرُ من أسيرته ؟ إنّ التى أعدّها لزينته

يَدخلُ روما وهى فى كتيبَة ْ   تزيدُ فى مَوكِبه وقيمته ْ
ماتتْ ولم تنزِلْ على مشيئته ْ   يُورِكُ فى النيل ،فى عَقيلته ْ

قيصر :

آلهةَ الرومان ! ماذا أرى ؟   إمرأةٌ تَسخَرُ من قائدِ
قد أبطلَتْ كيْدى على ضعفِها   ولم تزلْ تَسْخَرُ بالكائد
فى الجسدِ الحىِّ غنيْتُها   لم أبغِها فى الجسد البائد

« يركع قيصر عند جثة كليوباتره »

أنوبيس : « لنفسه »

الحادثُ العجيبُ   قيصرُ والطبيبُ !
يَغدُرُها وعهدُهُ   ببابِها قريبُ

أكتافيو :

عجيبٌ يا طبيبُ أرى قتيلاً   ولكن لا أرى أثرَ الجراحِ !
أليستْ فى الفَناء أرفَّ لونًا   وأندَى من رياحين الصباحِ
فهل تدنو فتكشِفَ كيف ماتتْ   أبالسم الزُّعافِ أم السلاحِ ؟

« يقترب أولمبوس وينحى على صدر الملكة من الناحيه التى رميت فيها الانعى »

عجيب يا طبيب أرى قتيلا ولكن لا أرى أثر الجراح !

ألبوس :

جبين مُشرقُ الغُرّةْ ووجهٌ ضاحكٌ نَضْرَهْ

وعينان كأنّ المو ت فى جَفْنيهما كَسْرَه

وهذا فمُها تبدو الـمنايا عنـه مُفتَرّهْ

ولـكن قيصرُ ادنُ أنظرْ هنا السرُّ هنـا العبره

فبين السَّحر والنحـر كمثل الخَدش من إبره

مكانُ الناب من صلٍّ شديدِ البأس والشِّرَّه

« تلدعه الافعى »

إلهى ، قيصرى ، آه لقد مَسّتْ يدى جَمْرَهْ

سرى السمُّ بأعضائى وعَمّتْ جسدى فَتْرَه

وجاءت سَكْرَةُ المو تفلاصَحوَ.. منْ السَّكْره

« ثم يسقط ميتا »

أكتافيوس

ويل النفوس من فُجَاءات القدرْ!

وويحَ ألبوس بالأفعى عثرْ

أنوبيس : « لنفسه »

قد وقعَ الحافرُ فيما قد حَفر

قيصر :

وَداعًا كاوباترا الى يوم نلتقى ... وتَنفُضُ عنها الهامدينَ المقابرُ

لمحا الموتُ أسبابَ العداوةِ بيننا ... فلا الثارُ مِلْحاحٌ ولا الحِقدُ ثائر

وما استحدثَتْ عند الكرام شماتةً ... صُروفُ المنايا والجُدودُ العواثر

وَداعا وان نحن إقتتلنا وجَرَّدتْ ... حُساميْهما أوطانُنــا والعَشائر

تحدَّيتِني بالموت حتى قهرتِني ... ومالىَ سلطانٌ على الموت قاهر

ترفَّعتِ عن قيْدى ومُتِّ عزيزةً ... وأيدى المنــايا للقيود كواسر

وأنت التى نازعتِ روما مكانَها ... وجَرّتْ بناديك القيودَ القياصر

لعبتِ بأنطونيو ويوليوسَ حِقْبةً ... كما جاء بالمسحور أوراح ساحر

وما أنا الاّ سيفُ رومةَ باترًا ... أصيبَ به سيفٌ لرومةَ باتر

زَجرتُ فلم أُسمَعْ فقاتلتُ مُكرَهًا ... وفى الحرب إن لم تَردَعِ السِّلْمُ زاجر

وأنطونيو صهرى الكريم بمثله ... يُطاوِلُ أنسابَ الملوكُ المُصاهر

وَداعًا عروسَ الشرف كلُّ ولايةٍ ... وإن هَزَّتِ الدنيا لها الموتُ آخر

« يخرج أكتافيوس وحاشيته وتزف التحايا له من الابواق والخناجر خارج القصر »

أنوبيس :

أكثري أيها الذئاب عُواء ... وادّعي في البلاد عِزاً وقهرا

أنشدي واهتِفي وغَنّي وضِجّي ... واسبحي في الدماء نابا وظُفرا

لا وإيزيسَ ما تملّكتِ إلا ... وادياً من ضَياغم الغاب قَفرا

قَسَماً ما فتحتُمو مصرَ لكنْ ... قد فتَحتُم بها لرومةَ قبرا

« ستار الختام »

نظرات تحليلية

نظرات تحليلية

كيلوباترا والتاريخ :

فى عصر من عصور التطور السياسى الدائم على عرش مصر ، وفى النصف الأخير من القرن الاول قبل الميلاد ، احتكت عظمة الامبراطورية الرومانية بالسياسة المصرية القديمة ، وطوت فى هذا الاحتكاك آخر صفحة من تلك المدنية الزاهرة التى اصطبغت بها مصر فى ظل البطالسة وتحت حكمهم أكثر من ثلاثة قرون

وجاء دور المؤرخ ليسجل أنباء هذا الاحتكاك فكان من حظ العلم :

أولا — أن استقى هذا التاريخ مادته من مصدرين كانا كل وسائل التاريخ القديم. فالمصدر الأول آثار يعرض لها عادة فى مثل هذه العواصف السياسية المضطربة غير قليل من التزييف والضياع . والمصدر الثانى رواة يجتهدون فى رواية الحوادث اجتهاداً ، فيخطئهم التوفيق أحيانا ، فيروونها لا كما كانت ولكن كما اشتهوا أن تكون »

ثانياً — أن نهضت بهذه المهمة الخطيرة أقلام ، إما رومانية وإما مدينة لروما هوى أو ثقافة ، فسجلت هذه الأقلام تاريخ هذا الانتقال السياسى فى أسلوب قصصى ، فاز فيه قياصرة الرومان بأكاليل الغار كلها ، فالظافر من بينهم بطل ، والمخذول منهم ضحية ، وللضعيف

على كل ما فعل أو أسف علل قوية من هوى هذه الأقلام ، فى حين أن الملكة المصرية المظلومة — كيلوباترا — الممثلة الأخيرة لمجد البطالسة وسلالتهم ، والتى سوى على حساب سمعتها وكرامتها، وأفول نجمها هـذا الحساب الخطير ، لم تصب منه الا ركاما من التبعات والآثام واللعنات

ظهرت حية النيل العجوز — كما نعتوها — فى هذا التاريخ ، وعمدته « بلوتارخوس » ، وفى معظم الروايات التى استوحته واستقت من معينه ، فى مظهر امرأة خطالة متهمة فى عفتها من حيث هى امرأة ، وفى جلالها واخلاصها لبلادها من حيث هى ملكة ، مجرد . . .

« ... أنثى أفنت العمر بالهوى بهيمة اللذات والشهوات »

خاضعة فى كل أدوار حياتها السياسية لشهوة مذبذبة ، تدفع بها رخيصة الى كل صاحب مجد أو جاه ، متصلة — ما اتصلت فى هواها — ببطل ، منفصلة — ما انفصلت — عن « حطام مبعثر مستباح » ، دائبة البحث عن فريسة جديدة تستل آمالها ، وتسلبها جلالها ، وتهيض من جناحها المحلق فى سماء المجد والخلود .. وعجيب أن تقفر حياة كهذه الحياة الحافلة بالمآسى الا من هذا الركن الدنس ، وعجيب ألا يرى أولئك القصاص فى هذه النفس الطموح ظلا لأمل خير أو حلم نبيل ، وعجيب أن تجثم فى كل ناحية من نواحيها رذيلة تهب المداد لهذه الأقلام !

مرمى الرواية :

أليس المؤلف المصري ازاء هذا الاضطهاد الصارخ لهذه الملكة ، المصرية بحكم الثلاثة القرون التي قضاها أجدادها العظاء على ضفاف النيل ، مستقلين عن كل نفوذ أجنبي ، أبرياء الا من العمل المتصل لمجد مصر ورفاهتها ، مستحيلة دماؤهم قطرة فقطرة الى دماء مصرية خالصة على توالى الايام ،

أليس المؤلف المصري في حل — ما دام البحث العلمي يكشف بين الحين والحين في هذا التاريخ المتهم عن حلقات ضائعة أو أوهام أنزلت فيه منزل الحقائق — من إنصاف هذه المصرية المضطهدة ، ولو الى الحد الذي يتفق مع هيكل هذا التاريخ المجرد ، ولا يحرمها على الأقل من سمو الغاية ونبالة المقصد ؟

أعتقد أنه ليس في حل من هذا الانصاف فقط ، ولكنه مسئول عنه الى أن يصل البحث الحديث في تقرير حقيقة التاريخ القديم الى آخر مداه فيعز من يشاء ويذل من يشاء

على هذا الأساس يضع مؤلفنا المصري اليوم في « مصرع كيلوباترا » صورتين جديدتين ، إحداهما لتاريخ كيلوباترا في قليل من التحوير المنطقي المعقول لتاريخها القديم ، والاخرى لحياة كيلوباترا حريصاً فيها على أن تحاط بنفس الجو الظنين الذي يحيطها به رواة التاريخ القديم ، مانحاً إياها الحق الاكبر في الدفاع عن نفسها وعن سياستها وعاطفتها ، غير تارك لسواها من

أشخاص الرواية إلا حظاً ضئيلا من هذا الدفاع ، وهو اذ يمنحها هذا الحق دون سواها من أشخاص الرواية إنما يحرص أولا على أن يترك لاولئك الاشخاص مطلق الحرية في تحديد هذا الجو الظنين ، وثانياً على ألا يقسو في مس الكرامة العامة للتاريخ ، وثالثاً على أن يترك الباب مفتوحا لتحقيق ما لهذا الدفاع من وجاهة فى نظر البحث الحديث المنصف

كيلوباترا فى نظر التاريخ القديم :

ولدت كيلوباترا سنة ٦٩ قبل الميلاد ، وكانت على أن تبنى بأخيها الاكبر وتتولى العرش معه ، فنوزعت فى هذه الشركة ، ففرت الى سوريا لتعبىء جيشاً هناك تستعيد به تاجها المفقود . وهناك صادفها يوليوس قيصر ، فوقعت من نفسه ، فمكنها من العرش شركة مع أصغر أخويها ، فما لبثت أن قتلته مسموماً وتبعت قيصر إلى روما فاحتفى بها حفاوة أثارت سخط الرومان

وقتل قيصر فترددت كيلوباترا أى الصفين تتبع ، أصف واتريه أم صف الموتورين فيه ، حتى اذا تم النصر لخلفاء قيصر على قتلته دعاها أنطونيوس الى طرسوس لتقدم حساباً عن هـذا التردد المقصود ، وقد لبت دعوته فسارت اليه فى موكب بحرى فخم تجلت فيه روعة الشرق وجلاله وغناه ، وكانت يومئذ فى الثامنة والثلاثين من عمرها على أبهى ما كانت من سحر وفتنة وجمال ، فما لبث أنطونيوس أن رآها حتى افتتن بها وضحى فى سبيلها

بمكانه وكبريائه ، وأخيرا بملكه ومطامعه وحياته . وقضيا الشتاء التالى فى الاسكندرية فى غرام نسيا فيه كل شىء ، وعلى أن أنطونيو قد رجع الى روما وتزوج من أكتافيا شقيقة أكتافيوس ، فقد عاد الى كيلوباترا وأقام معها وسخا لها ولأبنائها بالعطف والتكريم ، وفى نشوة هذا الجنون كان اسمه يتضاءل فى روما ، وكانت قواه السياسية والحربية تخور

وفى سنة ٣٠ قبل الميلاد اشتبك القيصران فى وقعة اكتيوم البحرية ، وكانت كيلوباترة بطبيعة الحال تؤازر بأسطولها أسطول أنطونيوس ، ففرت أثناء المعركة وفر فى أثرها حبيبها المفتون . وبذلك كتبت عليهما الهزيمة الأولى ، ثم اشتبك الجيشان فى معركة برية على أسوار الاسكندرية ، وكاد النصر فى أولهـا يواتى أنطونيوس ثم سرعان ما تنكر له وتم عليهما الخذلان الاخير

وحاولت كيلوباترا أن تأسر بجمالها القيصر الظافر ، وأن تفعل به ما فعلت بأنطونيوس ، فاشتركت معـه فى مفاوضات لصالحها الخاص ، وأرسلت الى أنطونيوس من أوحى اليه بموتها ، فاتكأ على ظبة سيفه حتى إذا علم فى احتضاره كذب هذا الوحى،أمر أن ينقل اليها حيث جاد تحت شفتيها بالنفس الاخير . وأيقنت كيلوباترا بعدئذ أن القيصر الظافر إنمـا يخدعها عن نفسها ، وإنما يريدها شارة ممتازة فى موكب انتصاره ، فانتحرت تاركة وراءها بنتين من أنطونيوس كفلتهما أكتافيا ، وولداً من يوليوس

قيصر (قيصرون) قتل فى عهد اكتافيوس ، وجسداً هامداً ضمه القبر الى رفات أنطونيوس ، وذكريات حية خالدة . . .

« فضن عن الملوك والقواد   وصرن وحى شاعر وشادى »

« وفتنة اليراع والمداد »

وجوه الاختلاف الأساسى بين الحوادث التاريخية والحوادث الروائية :

يهمنا من هذه الحوادث ازاء الرواية ما تناول الايام الاخيرة من حياة كيلوباترا ، تلك الايام التى لم تتناول الرواية سواها ، فنرى :

أولا — أن فرار كيلوباترا من وقعة اكتيوم كان جبناً وغدراً فى التاريخ ، ونرى أثر هذه النظرية التاريخية فى الرواية حيث يعتب أنطونيوس على كيلوباترا :

« وقلت انسحبت ضعفاً   وقال الناس بل غدرا »

فى حين أن هذا الفرار فى الرواية جزء من سياسة كيلوباترا — وسوف نبسطها بعد قليل — ويدل على ذلك وعلى روح هذه السياسة قول كيلوباترا

« فتأملت حالتى مليـاً   وتدبرت أمر صحوى وسكرى »

« وتبينت أن روما اذا زا   لت عن البحر لم يسد فيه غيرى »

« كنت فى عاصف سللت شراعى   منه فانسلت البوارج إثرى »

ثانيا — أن التاريخ لم يذكر أن جيش كيلوباترا فر من المعركة البرية بينما سجل المؤلف هذا الفرار فى الرواية تمشيا مع السياسة التى اختطتها كيلوباترا لنفسها ، وفى ذلك يقول أنطنيوس .

« أسطولها الى مراسيه أوى   وجيشها ألقى السلاح ونجا »

ثالثا — أن كيلوباترا هى المسئولة أمام التاريخ عن انتحار أنطونيوس بينما يبرئها المؤلف من هذه التهمة ، ويخلق شخصية خيالية يلقى عليها هذه التبعة ، هى شخصية الطبيب أولمبوس ، وترى ذلك حيث تتساءل كيلوباترا فى لوعة ولهفة :

« من نعانى كذبا من قالها لك.»

وإذ يجيبها أنطونيوس :

« أولمبوس النذل الخؤون »

وحيث نسمع أولمبوس فى الفصل الثانى من الرواية مهدداً ناقما :

« أوروس أنطونيو حسابكما غداً   وروما الأبيـة لم تنم عن ثارها »

وحيث نلمس مكمن الحيلة بين هذه النقمة وذلك الانتقام

رابعا — حاولت كيلوباترا تاريخيا أن تتصبى عدوها الظافر، وأن تغدر حبيبها المخذول، ثم انتحرت عندما فشلت هذه السياسة ، والمؤلف ينزهها عن هذا الاسفاف ، ويجعل أول لقائها لاوكتافيوس وأول اتصاله بها عقب مصرع أنطونيوس ، ثم يجعل من هـذا الاتصال مفاوضات ، ويجعل فى هذه المفاوضات خداعا من قيصر وإباء من كيلوباترا ، فلا

تصبي ولا محاولة ايقاع فى غرام ، ثم يجعل انتحارها حرصاً على تاج مصر أن يذله العرض فى روما من ناحية وذلك إذ تقول :

« سطت روما على ملكى ... . »
« فرمت الموت لم أجبن ولكن لعل جلاله يحمى جلالى »
« فلا تمشى على تاجى ولكن على جسد ببطن الأرض بالى »

ووفاء لأنطونيوس من ناحية أخرى وذلك إذ تقول :

« أيها الذاهب قد آ ن عن الدنيا ذهوبى »
« أيها الخالص وداً ليس ودى بالمشوب »
« ... ... »
« عن قريب ينطوى القبـــر علينا عن قريب »

صور تحليلية لأهم أشخاص الرواية

كيلوباترا

ما فتىء المؤلف منذ مطلع الرواية الى مقطعها يؤكد جنسية كيلوباترا المصرية وإن تحدرت من نبعة أجنبية ، فقد كان الزمن الطويل الذى قضاه أجدادها فى مصر — كما أسلفنا — كافياً لتمصيرها .

وعبث أن نختار من الرواية قطعة دون أخرى لاثبات هـذه الجنسية فالرواية كلها دليل متصل نسجل منه على سبيل المثل قولها :

« أموت كما حييت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجمال »

وقولها

« موقف يعجب العلا كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر »

ثم قولا آخر احتال فيه المؤلف على تبرير هذه الجنسية ، متحاشيا فى هذا التبرير إلا مجرد التلميح من بعيد لدمها القديم ، وذلك إذ يقول حابي لزينون :

« أخي هـذا أثيني وخلي ذاك مقدونى »

« ... ... »

« كلا الخلين ذو جد بأرض النيل مدفون »

« فليسا فى هوى مصر وفى طاعتها دونى »

وتصور الرواية كيلوباترا من نواح ثلاث يستحسن أن نبحثها منفصلة ، الأولى من حيث هي امرأة ، والثانية من حيث هي ملكة ، والثالثة من حيث هي شخص سياسي :

كيلوباترا امرأة :

١ — جميلة :

وأمام جمالها يتمنى زينون رأسين :

« يطأطيء رأساً لمجد النبوغ ويخفض رأساً لمجد الجمال »

ويناجيها أنطنيوس قائلا :

« ردى على هامتى الغار الذى سلبت فقبلة منك تعلوها هى الغار »

ويذكرها وهو يودع الدنيا :

« لما لقيتك فى الجمال وعزه   قهرت قواى الظافرات قواك »

وفى احتضاره يهتف بها :

« كلوباترا زوديني قبلة   من ثناياك العذاب الشهيات »

وهيلانه تتحدث عنها :

« لم يحو شمسين الفلك »

وأنوبيس يلقبها :

« شعاع المدائن نور القرى »

وحبرا ينبهر أمام كفها . . .

« عجب عينى لا تقـ   ـوى على هذا الضياء »

« هذه كف إلـ   ـه جاء فى زى النساء »

ورسول أكتافيوس قيصر يعجب لمولاه كيف :

« لا يلبي دعوة الحسن طائما   ...   . »

« وقد كان يوليوس يقوم ببابه   ويمثل أنطونيوس فى العتبات »

ب ـ قوية الثقة بجمالها :

ويوحى من هذه الثقة تناجى الاسكندرية قائلة :

« وأنا المهاة وقد ملأتك قاعا »

وتصف عشاقها قائلة :

« يموتون بي عشقا ويشقون بالهوى   فكم من حياة في يدي ومات

وحينما تفكر فى الانتحار لم يكن يشغلها من الدنيا شاغل إلا أن تحتفظ فى موتها بهذا الجمال ويبدو ذلك أولا فى الحوار بينها وبين أنوبيس :

« ولكن أبى هل يصان الجمال ؟ وهل يطفأ اللون ؟ وهل يبطل الموت سحر الجفون ؟ »

وثانيا عند ما تناجى شبح الموت :

« ياموت لا تطفىء بشاشة هيكلى واحفظ ظواهر لمحتى وجلالى »

« ... ... »

« حتى أموت كما حييت كأننى بيت الخيال ودمية المثال »

وتتحدث عن الحياة فتقول :

« إنى انتفعت بعبقرى جمالها وتمتعت من عبقرى جمالى »

حـ ـ قوية البيان :

قوة يمثلها حابى حيث يقول :

« ليسياس إنك قد سمعت حديثها كالسحر فى الآذان حين يدار »

« تبدو الخيانة فيه وهى أمانة ويرى الثبات عليه وهو فرار »

ى ـ شاعرة :

وفى ذلك يقول لها أنطونيوس :

« وقولى الشعر علويا »

ويقول للمغنى أياس :

« غنى شعر ملاكى غنى شعر الاله »

ولها فى الرواية نشيدان « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا »
و « يا طيب وادى العدم »

هـ — ولوع بالقراءة :

وفى ذلك يقول زينون :

« ... ... تنسى ملكها بلقاء الكتب أو تنسى هواها »
وقد رأينا أن لها فى قصرها مكتبة

و — الأمومة لديها كالغرام — وسوف نتحدث عنه فى موضعه — عاطفة ثانية إذا كان حب المجد وإباء الضيم فيه عاطفتها الأولى :

« وقد اشتهى عيش الذليل لأجلهم فلا المجد يرضى لى ولا النبل يسمح »

ز — عفة الهوى :

وقد تروع القارىء هذه الحقيقة لأول وهلة ، إزاء سلسلة التهم القاسية التى وصمت بها كيلوباترا فى الرواية كما يبدو من هذه الأمثلة :

(١) « هتفوا لمن شرب الطلا فى تاجهم وأصار عرشهمو فراش غرام »
(٢) « أترضى أن يكون سرير مصر قوائمه الدعارة والبغاء ؟ »
(٣) « قد اجترأت على روما البغى »
(٤) « صرح أبن قل غدرت قل جددت بقيصر الثالث دولة الهوى »
(٥) « ... ... أفنت العمر بالهوى بهيمية اللذات والشهوات »

لكن قليلا من التفكير يرده الى وجه الصواب فالتهمة الثانية قد رماها بها حابى الذى كان يراها عن بعد فى ضوء الاشاعة السائرة ، والذى لم يلبث أن نزل عن رأيه فيها حينما عرفها عن كثب ، فعاد يعدها « أبر المالكات » و « أشرف الناس إحساسا ووجدانا » و « لايقيس بها فى الطهر إنسانا » والتهمة الأولى قد وجهت اليها من شاب كان يشترك وحابى فى نظرته الأولى اليها ، لكنه لم يقترب منها ليرى ما رآه حابى فى النهاية . والتهمة الثالثة موجهة اليها من قائد رومانى غاضب لكرامة بلاده ، أى من خصم سياسى موتور . والتهمة الرابعة صاحبها أنطونيوس ، رماها بها ظالما فى ساعة يأس ، ثم كفر عنها بانتحاره ، وسوف نتحدث عن وفائها له بعد قليل . والتهمة الأخيرة إنما تجمع فيها كيلوباترا خلاصة ما يقال فيها وفى هواها ثم تدفعه فى قولها :

« فيا للغرامى بالرجال وحسنهم غرام الغوانى أو هوى الملكات »
« فليس الغلام البارع الحسن فتنتى ولا الرائع الاجلاد والعضلات »
« ... ... »
« ولكن عشقت العبقرية طفلة وفى الغافلات البله من سنواتى »

وفى قولها والضمير للحياة :

« ووجدتها قد خلدت أبطالها فبسطت سلطانى على الأبطال »

ح — وفية لغرامها مخلصة فيه الاحيث يصطدم هذا الغرام بوطنيتها :
فأما وفاؤها لغرامها وإخلاصها فيه فوقفها من أنطونيوس جريحا وميتا وبعد أن لم يعد يرجى منه خير ولا أمل ، وذكرها له وهى مشرفة على الموت حيث تنادى الموت قائلة .

« سر بى الى أنطونيو فى نضرتى ورواء جلبابى وزينة حالى
وحيث تنادى وصيفتها قائلة :

« ألبسانى حلة تعنجب أنطونيو بينيه »

كل ذلك آيات على هذا الوفاء والاخلاص
وأما تضحيتها بغرامها لسياستها فعلى الرغم من أقوالها « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » « والحياة الحب والحب الحياة » « ونحن قربنا له — أى للحب — ملك الثرى » و

« هو أعطى الحب تاجى قيصر لم لا أعطى الهوى تاجى منا »

على الرغم من هذه العاطفة القوية التى أظهرتها كيلوباترا دائما فى مواجهة أنطنيوس ، والتى لم يؤيدها الأمر الواقع ، والتى إن دلت على شىء ، فعلى أن كيلوباترا كانت ككل امرأة سواها . . .

ط — يداخلها فى حضرة حبيبها أثر المبالغة وروح الرياء :
ولعلها تعتذر عن ذلك إذ تقول والضمير للحياة :

« بنت الحياة أنا ... ... »
« عنها تناولت الرياء وراثة وأخذت كل خديعة ومحال »

نعود فنقول على الرغم من كل هذا إن غرام كيلوباترا — كما سوف ترى حينما نعرض لسياستها — ما تعارض يوما مع هذه السياسة ومع ما كانت تكفل به التاج المصرى من حب ورعاية ، إلا خر هذا الغرام صريعا

بقيت نقطة أخيرة تتصل بهذا الهوى ، وتلك أن كيلوباترا كانت فى ساعات لهوها . . .

ى — تفنى فى هذا اللهو وتستمتع به وتنسى ما سواه :

وحسبنا فى الاشارة الى ذلك قولها :

« فاطومعى حوادث الا　مس　ولا　تجـدد »

« وامض معى فى لذة الـ　يوم　ودع　هم　الغـد »

وقولهـا :

« لتكون　ليـلة　آخر الدهر تذكر »

« لا نبالى إذا صفت　بعـدها　ما　يكدر »

على أنها كانت تستظل فى هذا الاستمتاع بظل من الوقار يتبارى مع خلاعة الاغراق فيه ، تلك الخلاعة التى كانت سمة العصر المترف المستهتر التى عاشت فيه ، والتى نكتفى من إثباتها بالاشارة أولا إلى قول القائل :

« هلا نظرت إلى الأميرة إنها　سكرى تعثر فى خليع عذارها »

وثانيا إلى اتضاعها فى وليمتها حيث تترك يدها فى يسر لتكون نهبا لشفاه عراف صغير :

أما الظل الوقور الذى كانت تستظل به فى هـذه الساعات اللاهية ، والذى يبدو فى قولها :

« إجعلوها ولية وبساطا   يتبارى خلاعة ووقارا »

فلعلها استمدته من قبس دينى ما فتىء يتردد على نفسها بين الحين والحين . وتبدو . . .

ك — مستمسكة بدينها :

إذ تهتف بانوبيس فى موضع :

« صل من أجلى ولا تنـ   ـس صغارى فى صلاتك »

وفى موضع آخر :

« هـذا مقام صلاتى   وهيكلى للضراعه »
« ولى خطايا كثير   لا تبرح البال ساعه »
« فادخل وصل لأجلى   فمنك ترجى الشفاعه »

وفى موضع ثالث :

« أنى دخلت ونفسى   حيرى الزمام حزينه »
« وقد تركت المصلى   وملء قلبى سكينه »
« إن الصلاة على شد   ة الزمان معينه »

وبين هذه العفة والوقار من جانب ، وهذه المتعة والخلاعة من جانب آخر جهرت كيلوباترا بهذا الاعتراف والضمير للحياة :

« ولربما رشدت فسرت برشدها   وغوت فأغوتنى وضل ضلالى »

ووصفها أنوبيس بأنها كشعاع الضحى :

« يخوض الوحول ويغشى الحلى   ويأوى الحضيض ويعلو الذرا »

« ... ... »

« ولكنه طاهر حيث طا ف نقى الذيول عفيف الخطا »

كيلوباترا ملكة :

أ — قوية الشخصية :

وأظهر ما تبدو هذه القوة فى أربعة مواضع . الاول حينما تدخل على زينون بعد أن لعنها وتآمر عليها فلا يكاد يسمع تحيتها حتى يردها قائلا :

« سلام السماوات فى مجدها على ربة التاج ذات الجلال »

والثانى حيث يقول أوروس :

« لولا الوليمة والشراب وحرمة لاميرة الوادى السعيد ودارها »

والثالث حيث يقول أنطونيوس :

«أخرجت أمرى واختيارى من يدى وتركتنى نفساً بغير ملاك »

والرابع حيث يؤبنها اكتافيوس :

« لعبت بأنطونيو ويوليوس حقبة كما جاء بالمسحور أو راح ساحر »

بيد أن هذه القوة كانت تظهر أحيانا كأنها مشوبة بضعف ، لكنه ضعف مصطنع ترى فيه المرأة دائماً سلاحا من أسلحة قوتها . فهى حينما تنادى أنطونيوس .

« مكانك قيصر لا تذهبن ولا تبرح القصر أهلك أسى »

إنما تجرب قوة دلالها ، وقد أفلحت فى هذه التجربة ورأينا كيف استنهضت بهذا الدلال من حماسة أنطونيوس وكذلك عند ما تقول لاوكتافيوس :

« تغذه من يد المو ت ومن عاجزة تبكى »

فقد كان ذلك منها تهكما بتهكم ، وقد رأينا كيف وقفت بعد ذلك وقفتها فى إبائها وكبريائها الأعزل ، فاضطرت القيصر المنتصر أن ينتقل فى خطابها من سخرية الى احترام

وفى ذلك تقول هى :

« فان تك بى خشية فى النسا ء فلى جرأة الملكات الكُبَرْ »

ويقول اكتافيوس :

« قد أبطلت كيدى على ضعفها ولم تزل تسخر بالكائد »

ب — مصلحة :

وفى ذلك تناجى الاسكندرية قائلة :

« وشيتُ برك جدولا وخميلة وكسوت بحرك عدة وشراعا »
« وأنا اللباة وقد ملأتك غابة وأنا المهاة وقد ملأتك قاعا »
« قدخفت من بعدى عليك ممالكا يطلقن فيك الفاتحين سباعا »

حـ — فخور :

ويبدو هذا الفخر على أشده حينما تجعل نفسها «ضرة روما» إذ تقول :

« اليوم تعلم روما أين ضرتها تقلد الغار من تهوى وتختار »

وحينا تقول لحابى :

« دع الذود عن مصر لى إننى أنا السيف والآخرون العصا »

وحينا تقول :

« وقد علم البرية أن تاجي   نمته الشمس والأسر العوالي »

وحينا تخاطب الاسكندرية قائلة :

« وأنا اللساة وقد ملأتك غابة »

وحينا تسأل العراف :

« أحضيض يومي الآ   خر قل لي أم سماء »

« خاتم الأيام أو   لي باهتمام العظماء »

ء ـ أبية :

وآية ذلك قولها لأنوبيس :

« أبي لا العزل خفت ولا المنايا   ولكن أن يسيروا بي سبيا »

وقولها في وداع حياتها :

« أأدخل في ثياب الذل روما   ... ... »

« ... ... »

« إذن غير الملوك أبي وجدي   وغير طرازهم عمي وخالي »

وقولها في وداع صغارها :

« وقد اشتهي عيش الذليل لأجلهم   فلا المجد يرضى لي ولا النبل يسمح »

وفي تأبين أكتافيوس لها :

« ترفعت عن قيدي ومت عزيزة »

هـ ـ تتألف خصومها :

واحتيالها في اجتذاب حابي إليها عن سبيل حبه لهيلانة خير دليل،

و — عطوف على أتباعها :

تقول لوصيفتها :

« أنت لى خادم ولكن كانا   فى الملمات أهل قربى وصهر »

وتقول لها وصيفتها :

« ... ... يا رب ذنب   يتعب العذر فيه مهدت عذرى »

وقد أكسبها هذا العطف تفانياً فى حبها من أولئك الأتباع .

فانظر الى هيلانة إذ تقول :

« إن التى شب فى نعمائها صغرى   ونبهت لى فى سلطانها شانا »
« إن لم أمت دونها أو لم أمت معها   فاجزيت عن الاحسان إحسانا »

وإذ تقول على جثتها :

« ليت الطبيب الذى داوى فأخرجنى   الى الحيـاة على الدنيا به طلعا »

وإذ يصل هـذا التفانى الى حد التضحية بالحياة ، وإذ يتجلى الحزن الشامل على القصر ومن فيه فى الساعة التى أفل فيها نجم كيلوباترا وأشرفت على مفارقة الحياة ، إنظر الى كل هذا تجد أن أولئك الاتباع وجدوا فى ظل كيلوباترا العطف والرفق والاحسان

ز — غفور :

ويبدو ذلك فى قولها لحابى :

« فمثلك تاب ومثلى عفا »

ح — جليد :

ونرى أثر هذا الجلد فى قولها :

« يا ويح صحبي بعد طول سرورهم قعدوا الى أحزانهم يبكونا »

« جيئى بهم يا شرميون لينظروا جلدى فيهدأ بعض ما يجدونا »

ط — تكره التملق :

وفى ذلك تقول لحبرا :

« خلنى من زخرف المد ح ومن زور الثناء »

سياسة كيلوباترا :

تقول كيلوباترا لاوروس :

« الحرب فنك أورو س والسياسة فنى »

فهل هذا صحيح ؟

لقد كانت كيلوباترا بعيدة النظر حينما عتبت على أنطونيوس عقب انتصاره فى اليوم الاول من يومى المعركة البرية على أسوار الاسكندرية أن ترك خصمه من غير أن يضربه الضربة القاضية بعد أن اقتحم عليه مضاربه ...

« تركتهم لغد ؟ هذى مجازفة غد غيوب وأسرار وأقدار »

وقد أثبتت هزيمة أنطونيوس فى اليوم التالى بعد هذا النظر

وكانت كيلوباترا بعيدة النظر كذلك حينما استشفت من خلال ذلك العرض المعسول الذى عرضه عليها أكتافيوس :

« ولها الوادى وما يحـ   ـمل ملكا ورعيـه »
« وبنوها يرثون الملـ   ـك من روما الوصيه »
« واذا حلت بروما   وجدت روما حفيه »

شبح الحيلة والخداع ، فكادت له كيدا اضطره أن يقف أمام جثتها موقف المنهزم يقول :

« قد أبطلت كيدى على ضعفها   ... ... »
« فى الجسد الحى تمنيتها . لم أبغها فى الجسد البائد »

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد اختطت كيلوباترا لنفسها سياسة خاصة فى هذه الرواية ، وقد ظلت أمينة على تنفيذها حتى النهاية ، وقد فشلت فى هذه السياسة فشلا أفقدها حبها وتاجها وحياتها ، وأفقد مصر ما كان لها من شبه حرية واستقلال .

ونعرض الآن هذه السياسة ثم نتناولها بالبحث لنرى مواطن ضعفها وكيف انتهت الى هذا المصير

كانت كيلوباترا أسيرة عواطف ثلاث :

الاولى — حبها لمصر وحرصها على مستقبل تاجها . وقد رأينا أن الرواية ملأى بدلائل هذا الحب والحرص حينا تكلمنا عن جنسية كيلوباترا

الثانية — حبها لانطونيوس . ومن العبث أن نستشهد على هذا الحب بنجواها الغرامية المتصلة وحدها كلما جمع المجال بينها وبين أنطونيوس ، فلقد تتهم هذه النجوى بشىء من المبالغة والرياء ، وخير أن نقصر هذا

الاستشهاد على حديثها عنه فى غيبته ، إذ تقول :

« علم الله قد خذلت حبيبى »

وإذ تقول فى موقف آخر

« هو أنطونيوس ذخرى وطريفى وتليدى »

وعلى الوفاء له بعد موته وقد أسلفنا عليه الدليل ، ومهما يكن من انتقاد هذه العاطفة فى قلبها فقد كانت لديها كما قلنا عاطفة ثانوية ، كلما تعارضت مع حبها لمصر ، ففى سبيل وطنها كانت مستعدة للتضحية بكل شيء ، وكانت تعتقد حقيقة أن . . .

« المجد لا يسأل عن صاحبة ولا ولد »

وكانت مخلصة حينما استنهضت حماسة أنطونيوس بهذه الكلمة الجامعة :

« عد ظافراً أو لا تعد »

وآية استعدادها للتضحية بغرامها فى سبيل سياسة بلادها قولها عقب فرارها من اكتيوم :

« علم الله قد خذلت حبيبى وأبا صبيتى وعونى وذخرى »
« والذى ضيع العروش وضحى فى سبيلى بألف قطر وقطر »
« موقف يعجب العلا كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر »

الثالثة — بغضها لروما وإشفاقها من طغيان سلطانها المكين

ويبدو هذا البغض فى عدة مواضع :

منها قولها :

« لا تسيروا على ولائم روما سرفا فى الفسوق واستهتارا » .

ومنها قول أحد القواد الرومان لزميل له :

« أتسمع ما تقول عدو روما ؟ »

وقولها :

« دعوا روما ولا تجروا لها ذكرا »

وقولها :

« حبرا أعندك سحر . يشل طاغوت روما ؟ »

« ويجعل الناس فيها حجارة ورسوما »

وقولها فى موقف مفاضلة بين ألوان الشراب :

« دنان مصر لا دنان الروم »

ثم شعور الناس جميعاً — حتى خصومها — بذلك البغض ، وفى ذلك يقول حابى لزينون قبل أن ينزل عن رأيه فيها :

« ولم يبق على الود لروما غير زينون »

واشباعاً لهذه العواطف جميعاً رسمت كيلوباترا لنفسها ثلاث غايات :

الأولى — أن تستخلص الشرق لنفسها مستقلا عن كل نفوذ

الثانية — أن تضعف قوى روما ما استطاعت مع المحافظة على قواها هى

الثالثة — أن تعكس الآية السياسية الموجودة يومئذ ، فتسود روما من خلال سيادة قيصر ضعيف ، تضمن أن يخضع لفتنة جمالها دائماً ، كما تضمن أن يخشى قوة بأسها ثانياً ، وكل هذه الشروط كانت تجتمع فى أنطونيوس

وتجمل كيلوباترا غايتها الأولى والثالثة فى قولها لأنطونيوس :

« أنت لروما فى غد وقيصرون بعد غد »

« والشرق سلطانى الذى إكليله لى انعقد »

ثم تبسط غايتها الثالثة إذ تقول :

« قلت روما تصدعت فترى شطــــراً من القوم فى عداوة شطر »

« ... ... »

« وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيرى »

والوسيلة التى ظنتها كيلوباترا كفيلة بتحقيق هذه الغايات ، أن تقف من القيصرين المتحارين موقف الحياد ، فقد كانت تؤمن بتكافؤ قواهما الحربية ، لأنهما « تقاسما الفلك والجيش » وبات كلاهما . . . .

« ... ... شطـــــرا من القوم فى عداوة شطر »

وقد أثبت تداول النصر بينهما قبل المعركة الفاصلة صدق هذا اليقين . وقدرت كيلوباترا أن حيادها هذا يكفل لها الاحتفاظ بقواها فى البر والبحر ، بينما ينهك القتال قوى القيصرين — المنتصر منهما والمخذول — حتى إذا قرت الحرب بينهما ظهرت بجيشها وأسطولها ، لتجهز على اكتافيوس — إذا ظفر — وهو متعب منهوك ، ولتحيى أنطونيوس — إذا كان هو الظافر — تحية القوى للضعيف ، لا تحية التابع للمتبوع . لكن الحياد الصريح كان معناه المحتوم أن تفقد أنطونيوس ، وأن تفقد كل أمل فى هواه ، وأن ينهار بفقدان هذا الأمل صرح أمانيها جميعاً ، فاصطنعت كيلوباترا

لنفسها حياداً مقنعاً تتظاهر فيه بالقيام بنصيبها من أعباء الحرب الى جانب أنطونيوس ، حتى إذا نشبت المعركة فرت بجيشها أو أسطولها ، تاركة لغرامها أنطونيوس القوى مهمة التماس الأعذار لضعفها وفرارها من حومة القتال ، ناطقاً على لسانه :

« فقلت انسحبت ضعفا وقال الناس بل غدرا »
« ولو كان لهم قلب كقلبي التمسوا العذرا »

ومهمة أخرى هي إلقاء تبعة الغدر والخيانة على من يشاء من قوادها :

« فيا قائد الاسطول هل من مكيدة تدبر لي خلف الشراع وما أدرى ؟ »

وما من شك أنهـا مهمات يسيرة ، إزاء مهمة الاعتذار لخيانتها السافرة لو أنها وقفت منه موقف الحياد الصريح ! وما من شك كذلك أن هذه المهمات قد أداها غرام أنطنيوس بنجاح فقد عفا عن ضعف حبيبته مرتين ومات راضياً عنها كل الرضاء

ونستطيع استخلاص هذه الخطة التي اتخذتها كيلوباترا من أربعة مواضع:
الاول — في موقف كيلوباترا من حاشيتها بعد وقعة أكتيوم ، تبرر فرارها في هذه الابيات :

« قلت روما تصدعت فترى شطـــرا من القوم في عداوة شطر »
« بطلاها تقاسما الفلك والجيـــش وشبا الوغى ببحر وبر »
« فتأملت حالتي مليـــا وتدبرت أمر صحوى وسكرى »
« وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيرى »

« كنت فى عاصف سللت شراعى   منه فانسلت البوارج إثرى »
« خلصت من رحى القتال وما   يلحق السفن من دمار وأسر »

الثانى — فى قول أنطونيوس :

« أسطولها إلى مراسيه أوى   وجيشها ألقى السلاح ونجا »

ولقد يلقى قول كيلوباترا فى استقبال أنطونيوس على أثر عودته ظافراً فى اليوم الاول من يومى المعركة البرية

« هو والله نشيدى   والمغنون جنودى »
« والمخاريق التى تخــفق من بعد بنودى »

لقد يلقى هذا القول ظلا من الشك على مسايرة خطة الانسحاب من المعركة لسياق الرواية ، يعززه أن أنطونيوس لم يأخـذ عليها فرارها من هذه المعركة كما أخـذ عليها فرارها من اكتيوم ، لكن هذا الظل المريب يتضاءل ويفنى حينما نعلم اولا أن كيلوباترا لم تشترك فى هذه المعركة بتاتاً ، فقد « آلى وأقسم » أنطونيوس :

« ... ... لا يرى فى قصرها   حتى يقوم مجـــده المنهار »

وظل فى حنقه وغضبه منها « بأقرب ثكنة » من الاسكندرية :

« يدعو من الرومان — وحدهم — من يختار »

« ويعد أهبته ليوم حاسم   فى البر يغسل عنه فيه العار »

وحينما نمشى ثانياً مع قول كيلوباترا قليلا ، فنسمعها فى فرحها بعودته تقول :

« ولديهــا فارس ملـــثم شاكى الحديد »

« هو أنطونيوس ذخرى وطريفى وتليدى »

فهى لم تفرق بين جنود أنطونيوس وأعلامه ، وبين جنودها هى وأعلامها ، ولكن ذكرت نوعا واحداً من الجنود والاعلام والاناشيد ، وقالت م جنودى وأعلامى وأناشيدى ، لانها فى غرورها الفخور وفى ثقتها بجمالها وحب أنطونيوس لها وحبها لانطونيوس ، كانت تعتقد ما قالت «أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » ، وترى على هذا أن كل ما له إنما هو ملك لها ، وكان أنطونيوس بدوره يتناسى فى انتصاره عتبه الاول ، ويتناسى فى غرامه أناشيد روما وأعلامها ، ويتخذ أناشيد مصر وأعلامها ، ويترك أسطوله « يعب تحت هذه الاعلام » وجيشه يتغنى بهذه الاناشيد ، وفاء لها بما أخذه لها على نفسه ، أنه « مصرى » وأنه « تابعها الوفى » وأنه ما فى سوى رضاها له مضى ».

الثالث — قولها لانوبيس :

« وجيش الحليف وجيش العدو بظهر المدينة شبا الوغى »

أما جيشها هى فسياستها تعلم أين كان !

الرابع قولها لانوبيس كذلك :

« أبى أعلمت أن الجيش ولى وأن بوارجى أبت المضيا ؟ »

فكيلوباترا هنا تشكو من أن بوارجها أبت المضى ، لكن متى حدث هذا الاباء ؟ هل كان ذلك فى معركة اكتيوم ؟ طبعا لا . . . لانه لو كان ذلك كذلك لما كان هناك سبيل لشكاة كيلوباترا من أمر هى صاحبة الرأى

فيه ، ولما كان هناك سبيل للتعبير عن فرار الاسطول يومئذ بأنه « إباء » أى تمرد ، وهى الآمرة بالفرار وأسطولها لم يعد ان سمع وأطاع ، ولما كانت هناك فائدة فى إخبار أنوبيس بنبأ قد عرفه منذ حين . . . إذن لا بد أن هذه البوارج قد أبت المضي الى الحرب بعد هزيمة أنطونيوس الاخيرة ، وقد يبدو — وإن كان ذلك فى شيء من الغموض — أن كيلوباترا تنفيذاً لما بسطنا من خطتها أرادت أن تضرب أكتافيوس عقب انتصاره كما قدرت ، فأهابت بأسطولها أن يمضي فأبى هذا المضى ، وأهابت بجيشها أن يمضى فولى الادبار ... اعتاد كلاهما لذة الدعة وراحة الفرار ، ومن هذه العادة جنت كيلوباترا ما غرست فيهما من بذور الضعف والخور ، وتحطمت خطتها وسياستها على صخرة عاتية وقفت لديها تعض بنانها ندما وتقول :

« أيها العين أبصرى   إنما كنت فى حلم »

مواطن الضعف فى هذه السياسة :

أولا — أخذ أنوبيس على هذه السياسة بصفة عامة أن كيلوباترا كان يجب أن تخلص فى عون أنطنيوس ، فيكون الامل فى الظفر أقوى ، وذلك حيث يقول :

« تركتمو أنطونيو   س وحده يلقى العدا »
« من أجلكم سل الحسا   م والى الحرب مشى »
« ما كان ضركم لو الـ   ـتففتمو على اللوا ؟ »

لكن حسن الظن فى كيلوباترا قد يستطيع الاعتذار لها بأنها كانت تريد الى جانبها قيصرا ضعيفا يمكن أن يرث عنه القيصرية ولدها قيصرون ، لا قيصرا قويا قد تفقد سلطانها عليه إذا تعرض غرامه للذبول

ثانياً — قدرت كيلوباترا أن يظل أنطونيوس فى المعركة بعد فرارها فخانها التقدير ، وفر فى أثرها أنطونيوس :

« لم تأت حتى جاء فى آثارها   للجبن أجنحة بهن يطار »

ثالثاً — لم تقدر ما يحدثه فرارها من الضعف المعنوى فى جيش أنطونيوس ، وآية هذا الضعف قول أوروس لمولاه :

« وخلفت فى عسكر كالنعا   ج كثير الثغاء قليل الغنا »

« فمن يائس مات قبل القتا   ل ومن خائن فر قبل اللقا »

رابعاً — صراحتها الطائشة فى إعلان بغضها لروما أمام الرومان ، واضطرارها أنطونيوس أن يظهر بهذا المظهر كذلك أمام قواده ، مما أحنق أولئك القواد وجعلهم يقولون :

« سنلبث ساعة نحتال حتى   إذا سلت عقولهمو انسللنا »

« فما المتدله السكير أهلا   لتنصره السيوف إذا استللنا »

ونرى أثر هذا الحنق حينما يقول أنطونيوس :

« جنود أكتاف أدركونى   يا ليتنى مت قبل هذا »

فيجيبه جندى رومانى :

« لا بل جنودك لكن   خانوك حبا لروما »

خامساً — عدم إتعاظها بضعف سياستها بعد معركة أكتيوم ، وتكرار الانسحاب وتكرار الهزائم

سادساً — اعتمادها على جيش وأسطول علمتهما الهرب من ساحة القتال

وقصارى ما نستطيع أن نقول فى سياسة كيلوباترا إن عينها كانت ترى ما وراء الافق وتعمى عما تحت أنفها من عثرات ، وإن هذه السياسة ليست المسئول الوحيد عن هذه الكارثة التى انتهت بها حياة كيلوباترا ولكن هناك مسئولا آخر هو الضعف النفسى الذى تحكم يومئذ فى أنطونيوس .

⁂

ولعل خير إطار تجلى به هذه الصورة الجامعة المتسقة الالوان لحياة هذه الملكة هو تأبين أنو بيس لها :

« بنتي رجوتك للضحية والفدا   فوجدت عندك فوق ما أنا راجى »
« إن تصحي جسداً فنفسك حرة   وعلاك سالمة وعرضك ناج »
« سيقول بعدك كل جيل منصف   ذهبت ولكن فى سبيل التاج »

أنطونيوس

رسم المؤلف صورتين لانطونيوس الجندى فى هذه الرواية

الأولى — صورته قبل أن يتصل بكيلوباترا أيام أن كان يضحى بالهوى فى سبيل المجد

الثانية — صورة أنطونيوس بعد أن عرف كيلوباترا وأصبح يضحى بالمجد فى سبيل الهوى

ونرى الصورة الأولى حينما يذكر أنطونيوس — وهو مشرف على الموت — أيام صباه فيقول :

« وأيام يدعونى الهوى فأجيبه   وينفخ فى البوق المنادى فانبرى »
« فتنت الغوانى برهة وفتننى   ولكننى عن سؤدد لم أقصر »
« فهمة قلبى فى شراب وصبوة   وهمة نفسى فى علاء ومفخر »
« أروس تواقفنا على كل غمرة   وكل مجال ثائر النقع أكدر »
« وفى مهرجان الفاتحين وعرسهم   وتحت لواء أو على عود منبر »

فنراه من خلال هذه الصورة ، شجاعاً ، ظافراً ، خطيباً يشبع عاطفته ولكن إلى الحد الذى لا يقف به فى سبيل المجد عن غاية

ونرى الصورة الثانية حيث يفر أنطونيوس من معركة أكتيوم وفى ذلك يقول حابى :

« لم تأت حتى جاء فى آثارها   للحب أجنحة بهن يطار »

وإذ يخرج به الهوى من معركة لو استمر فيها لكتب له النصر الاخير ، وذلك إذ يقول لكيلوباترا عقب انتصاره المؤقت :

« ومالت الشمس أوكادت فراجعنى   شوق اليك عديم الدار سوّار »
« حتى رجعت ولو أنى طردتهمو   لبات أكتاف عندى وانقضى الثار »

وإذ ينسى بلاده ووطنيته وجنسيته فى حب كيلوباترا فتستطيع أن تقول :

« ... ... دعوا روما   ولا تجروا لها ذكرا »
« فما أنطونيو منها   وان كان ابنها البكرا »

« ولكن تحت أعلامى يقود البر والبحرا »

فيسأله قائد من قواده :

« أحق مارك أنطونيو س من رومية تبرا ؟ »

فيجيبه :

« أجل أتبع مولاتى ولا أعصى لها أمرا »

وإذ تستطيع أن تقول :

« أنطونيو ما أنت رومانى ألم تقل إنك لى جندى »

فيجيبها :

« أجل وزدت أننى مصرى وأننى تابعك الوفى »

« ما فى سوى رضاك لى مضى »

وإذ يقول هو والخطاب لروما :

« إن الذى بالأمس زنت جبينه بالغار عقك جهده وعصاك »

وإذ يقول له قائد من قواده :

« ألا انه ليل له ما وراءه غرامك حى فيه والمجد ميت »

وآخر :

« فما المتدله السكير أهلا لتنصره السيوف ... ... »

وثالث :

« حياته فى يديه أم فى يدى كيلوباترا »

وإذ يناجى هو « إلهته » كيلوباترا :

« أخرجت أمرى واختيارى من يدى
وتركتنى نفساً بغير ملاك »

وإذ يفقد مزية الجندى الباسل فى ساحة الوغى ، تلك المزية التى أثبتها لنفسه حين سألته كيلوباترا :

« ... ... أسالم أنت لا أسر ولا عار ؟ »

فأجاب :

« أسر ؟ وهمت كيلوباترا ... ... »
« لو قلت قتل لكان القول أشبه بى كاس المنايا على الأبطال دوار »

وتلك هى مزية الثبات التى يفقدها أنطونيوس بفراره من اكتيوم ثم فراره من المعركة البرية الثانية إذ يقول :

« جللت نفسى بعار يبقى بقاء الزمان »
« لما حملت جوادى على الفرار ازدرانى »
« وضج منى سيفى وضج منى سنانى »
« وودت الارض تحتى لو طهرت من عيانى »
« أنا الذى كان أمضى من الحديد جنانى »
« كان الملوك عبيدى فصرت عبد الحسان »

على أن المؤلف ترك له ما سوى هذا من مزايا الجندية ، فجعله على لسان كيلوباترا :

« جيشاً بمفرده فى الروع جرار »

وجعله على لسان حبرا :

« إله الحرب »

وجعله على لسان أوروس :

« إله الوغى » حيث يقول :

« رأيتك والحرب تبلو الكما ة فأشهد كنت إله الوغى »

« وقد كان سيفك غول السيو ف وكانت قناتك غول القنا »

« وكنت إذا الموت أفضى اليـ ـك تحديته فانثنى القهقرى »

وجعله على لسان جندى رومانى : .

« ... ... هيكلا عز فى الرجال ضريبا »

« ... ... خير من هزرمحا أو نضا صارما ولاقى الحروبا »

وجعله على لسان كيلوباترا :

« محور الارض وميزان الشعوب »

وجعله على لسان اكتافيوس :

« سيفا باتراً لروما »

ضمن أمثلة من هذا النوع تناثرت فى الرواية

لكن هذه المزايا الباقية لم تغن عنه شيئاً إزاء ضعفه النفسى الذى أفاضه عليه اندفاعه الأعمى فى هواه ، وجعله من حيث طاعته لكيلوباترا « كهمج الاسكندرية »

ثم صور المؤلف صورة أخرى لأنطونيوس من حيث هو رجل فنراه من خلال هذه الصورة :

غفورا :

يتجلى غفرانه لكيلوباترا مرة بعد أخرى

ويبدو ذلك فى قولها له :

« وكم حقدت ثم أصبحت كان لم تحقد »

رحيم القلب ، بشوش الوجه :

وتبدو رحمته و بشاشته فى قول كيلوباترا :

« ليس العبوس سنة لوجهك الطلق الندى »
« ولست من يغضب فى ليل الشراب والدد »
« ولست للكأس على شاربها بالمفسد »
« قلبك كنز الحب والرحمة والتودد »

اكتافيوس

يظهر اكتافيوس فى الرواية قائداً عظيما قوياً ويبدو ذلك فى انتصاره وفى قوله « وما أنا الا سيف رومة » وفى قول كيلوباترا :

« إن اسطعت على ما لك من بطش ومن فتك »
« وما حولك من خيل وما تحتك من فلك »

وسياسياً :

ويبدو ذلك فى المعاهدة التى أراد أن يخدع بها كيلوباترا ليتخذها شارة فى موكب انتصاره

أنو بيس

يمثل فى الرواية مصريا شديد الغيرة على مصريته :

ويتجلى ذلك اذ يقول :

« إيزيس كيف أصلى على ابن يوليوس قيصر »
« أبوه عال ولكن فرعون أعلى وأكبر »

وإذ يوحى الى كيلوباترا فكرة الانتحار عطفا عليها من حيث هى ملكة مصرية وحرصاً على كرامة التاج المصرى ، ويتضح ذلك فى حواره حول أفاعيه وإذ يختم هذا الحوار قائلا :

« يميناً بايزيس أحملهن اليك ولو فى سلال الخضر »
« إذا بات فى خطر تاج مصـــر سبقت اليك بهن الخطر »

وهو من هذه الناحية موزع بين عاطفتين :

الأولى : عطفه على كيلوباترا

الثانية : بغضه لروما

ويتجلى هذا البغض فى قوله :

« حانى أحيط القصر بالذئاب وبي من السخط عليهم ما بى »

لكنه لم يكن ينسى فى هذا البغض أن آمال مصر معقودة على انتصار أنطونيوس . وقد رأينا أثر ذلك فى سياسة كيلوباترا

مؤسسة فن الطباعة
رولان شلهوب
[illegible]

مصرع

"كليوباترا"

تطلب من | المكتبة التجارية | الكبرى بشارع | محمد على بمصر

مؤسسة فن الطباعة
روزين شلهوب